

أخطر من النكسة

محمد جلال كشك

الناشر مكتبة الامل
السالمية - الكويت - تلفون ٦١١١٥١

محمد جلال كشك

أخطر من النكسة

الناشر
مكتبة الامل
السالمية - الكويت - تلفون ٦١١١٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتـــاب

ليست الهزيمة العسكرية هي أخطر ما يواجهنا ..

فما من أمة الا وفي تاريخها نصر وهزيمة .. ولو كانت الأمم تبنى بالنصر وحده ـ لما كتب الله على نبينا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تجربة أحد وحنين .. ولكن الأمم تصقل روحها ، وتتطهر عناصرهـا ، ويصفو وجدانها بالهزيمة ، كما يصنع النصر مجدها وعزتها ..

ونحن أمة عمرها أربعة عشر قرنا .. عشنا انتصارات لم تحلم بها أمة أخرى .. وتجرعنا هزائم .. أقل منها أفنى أمما .. وبقينا نحن ، وأفنينا غزاتنا ..

فلنذكر دائما أن هزيمة عسكرية واحدة ننزلها باسرائيل تعنى زوالها .. أما أمتنا العربية ، فقد تحملت ـ وتستطيع أن تتحمل ـ الكثير .. وهي جديرة بأن تتعلم من يوم بؤسها ، كما تتعلم من يوم نعيمها ..

فليس ما نخافه على أمتنا هو الهزيمة العسكرية .. شرط أن تتعلم منها ، وأن نغير ما بأنفسنا ، حتى يغير الله ما بنا ..

انما الخطر الحقيقي ، هوالهزيمة النفسية التي يراد انزالها بنا ..

هذه الأصوات التي تنبعث من يأس وعجز ، أو تنبعث عن غدر وخبث .. تدعى الحكمة ، وتقرع الجماهير العربية على جهلها ، وتحملها مسئولية ما حدث ..

وليس أنكى على الأمم ، في أيام محنتها ، من شامتين يرتدون مسوح الواقعية والتعقل ، ويسخرون من آمال أمتهم ، ويسفهون أحلامها •• يدعونها لقبول المذلة والهوان ، باسم مقتضيات الواقع والنزول على حكمه !

وأصوات الواقعيين والعقلاء ، يمكن مناقشتها في أيام الرخاء ، وبين صفوف الأمم المنتصرة القوية •• وهي عندئذ قد تبدو أصواتا شجاعة ، تتصدى لغرور الجماهير ، وتواجههم وقد انتشوا بخمرة النصر ، فتدعوهم الى النزول على ارادة العقل وحكمه ••

ولكن •• هذه الأصوات تتجرد من حكمة العقل ، وتنزلق الى صفاقة العمالة •• وبدلا من شجاعة المواجهة ، تستعين بانتهازية الجبان ، الذي يستند الى هزيمة أمته في تبرير خوره ، ويستغل مشاعر الضعف التي تجتاح المنهزم •• ويلعب على الغرائز المنحطة للجماهير ، عندما تتراجع روح الاستشهاد الانسانية ، وتحل محلها غريزة حب البقاء الأميبية ••

وهزيمة الخامس من يونيه ــ كما يقول أصحابها ــ هزيمة لم يسبق لها مثيل ، ونرجو ويرجون ألا يتبعها مثيل ••

والذين أعدوا لمثل هذه الهزيمة ، بالعمل الدائب المتصل ، على الجانبين ، يهمهم حقا أن يظفروا منها بكل ما يمكن أن تحققه ، وكل ما توقعوه من نتائج •• فليس في كل يوم يمكن أن يوقعوا بعدوهم هزيمة « لا مثيل لها » •• وستغدو خيبتهم هم لا مثيل لها ، ان عجزوا ــ باذن الله ــ عن أن يستفيدوا من هذه الهزيمة في تحقيق أهدافهم كاملة •

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف ، التي صنعوا لها الهزيمة العسكرية ، نراهم يلقون الآن بكل الأوراق ، ويكشفون كل الأستار •• ولا يتورعون عن حرق بعض الوجوه التي كانت تعمل في خفاء ••

من أجل ذلك تشهد المنطقة ، بل العالم كله ، تحركات واسعة النطاق ، ونرى مظاهر لا يذكرها الا الذين عاشوا أيام مولد اسرائيل •• تحركات تكشف بوضوح مدى سيطرة الأخطبوط الصهيوني الذي يحرك العالم على

اختلاف النظم والمبادىء والمصالح والرايات التي تتحرك تحتها الجيوش .

والأيام التي نستقبلها ، لا تقل في الخطورة – من وجهة نظر محركي المؤامرة الصهيونية – عن قيام اسرائيل .. انها المرحلة التالية ، مرحلة سيطرة اسرائيل على الأمة العربية ..

من أجل هذا تجند كل الطاقات .. تجند كل الأقلام .. وتلقى على المائدة بكل الأوراق ..

والهدف العاجل في الحرب النفسية الاسرائيلية ، هو اقناع العرب بالهزيمة ، ودفعهم الى قبول هذه الهزيمة ، ومن ثم تخليهم عن فكرة ازالة اسرائيل ..

فرغم هزيمة سنة ٤٨ وهزيمة سنة ٥٦ .. فقد ساد العرب اقتناع بأنهم لم يهزموا ، وأنهم قد حيل بينهم وبين القتال المتكافىء .. ومن ثم ، فقد سرق منهم النصر ولم ينتزع ..

ورغم ما قد يقال عن هذا الفهم ، وتأثيره على التفريط في الاعداد ، والمبالغة في التهوين من شأن العدو .. الا أن أهم نتائجه الايجابية أنه زاد العرب اصرارا على ازالة اسرائيل ، واقتناعا بامكانية تحقيق هذا الهدف .. وسد الطريق على أية دعوة عملية أو متخاذلة ..

ومن خلال « الرفض اللفظي » لوجود اسرائيل ، أصبح محور العمل العربي هو ازالة اسرائيل .. صحيح أن عددا من الزعماء العرب حاولوا أن يزيفوا على الأمة العربية طريقها .. حاولوا تضليلها في متاهات وسراديب بعيدة كل البعد عن الهدف القومي ، وهو ازالة اسرائيل .. وصحيح أنهم قد نجحوا في جذب قطاعات واسعة من الجماهير خلفهم في هذه المتاهات .. غير أن هؤلاء الزعماء كانوا يبدأون مسيرتهم من فلسطين .. فعلى هذا الدرب وحده توجد الجماهير .. ومن هذا الدرب وحده يمكن أن يقودوا الجماهير ، حتى ولو بهدف تضليلها ..

وكل الحركات والأحزاب والانقلابات انما بدأت من فلسطين ، وانتهت

جميعا الى خيانة فلسطين .. صحيح أن الخائنين دفعوا ثمن خيانتهم ، ولكن الجماهير أيضا دفعت ثمنا غاليا من حياتها وآمالها .. وكفاحها الضائع ..

وصحيح أن عددا من العناصر الشريفة قد استغرقتها المعارك الجانبية . والمشاكل الفرعية التي أثارها هؤلاء وهؤلاء ..

وصحيح أن الجماهير قد طربت لهذا الاجراء ، وصفقت لهذا الزعيم ، وثارت ضد عدد من القضايا ، وعملت ضد بعض القوى ..

ولكن .. كان عذر الجميع أن هذه الخطوات محتومة لكي ينطلق الزحف الى فلسطين ..

حتى استيقظت الأمة العربية في الخامس من يونيه لتجد نفسها قد أعدت لكل شيء الا فلسطين .. وأن قواهـا قد استنزفت في أبعد الميادين عن فلسطين ..

فكانت الهزيمة العسكرية ، وكانت الهزيمة النفسية ، والشك في كل ما طرح وتردد خلال الأعوام العشرين الماضية ..

واذا كان المتشبثون بمقاعدهم ــ ولو على حساب أمتهم ــ يحاولون تزييف أسباب الهزيمة .. فان عملاء اسرائيل قد نشطوا من أجل التمهيد للصلح مع اسرائيل ..

وهناك محاولات لتصوير الهزيمة ، وكأنها بفعل قوانين طبيعية يحتمها فارق التقدم والتخلف .. فلا سبيل لمقاومتها ، ولا أمل في تفاديها ، الا بعد عمر طويل من التقدم والتعلم والتحضر ..

واذا كانت الجماهير قد تنبهت الى ضرورة التغيير في القيادات العسكرية التي صنعت الهزيمة العسكرية .. فان حاجتنا الى تغيير القيادات الفكرية أوجب وأكثر الحاحا .. فانها هي التي صنعت الهزيمة الشاملة ..

واذا كان قد تبين أن الجاسوسية اليهودية قد استطاعت أن تتغلغل على نحو ــ لا أظن أنه قد عرف الا في نهاية عهد السلطان عبد الحميد ــ فان الأمم الواعية لا تقف عند حد التفسير البوليسي لهذا الوضع .. بل عليها

أن تتساءل عن المناخ الفكري الذي مكن هؤلاء العملاء أن يوجدوا ويعملوا ويستشروا .. كيف كانت العناصر الوطنية المخلصة تطارد الى حد القتل، وتمنع من حرية التنقل، بينما العناصر المسئولة عن الأمن تتزوج من يهوديات أجنبيات يغادرن البلاد يوم ٤ يونيه !

كيف ؟!

ليس بالجاسوسية وحدها يمكن أن يحدث ذلك في أمة من الأمم .. بل بتخريب كل قدرة على الحس في هذه الأمة ..

واذا كانت الأخبار المعلنة، تشير الى تغيير في القيادات العسكرية — فان القيادات الفكرية، التي صنعت الهزيمة، ما زالت موجودة .. بل نشطت على نحو غير عادي، لاستكمال الهزيمة، والوصول بها الى غايتها: وهي الصلح مع اسرائيل .. أو مرحليا .. الاعتراف بوجود اسرائيل .

بدأوا بفتح حوار مع اسرائيل، أداروه من فوق رءوس الجنود والشبان المرابطين عند خط النار .. والمنشغلين بحفر الخنادق، وتضميد الجراح، وانقاذ التائهين في صحراء سيناء ..

بدأ الحوار تشنه حلقات معينة من فلول أنصار التقسيم في سنة ١٩٤٨ .. لولا أنهم يحتلون اليوم مراكز الصدارة في الوطن العربي ..

هم بقايا الحلقات الماركسية، ولكنهم من فئة خاصة، تربط معظمهم بالاسرائيليين والاسرائيليات روابط معينة، أشار اليها « جورج براون » وزير خارجية بريطانيا عندما قال ان لديه أسبابا « خاصة جدا » تمنعه من معارضة أهداف اسرائيل .. وفسرت صحافة بريطانيا هذه الأسباب بأنها زوجته الاسرائيلية ..

كلهم، وبلا استثناء، لديهم أسباب « خاصة جدا » تضعف روابطهم بالعروبة، وتفصلهم عن الاسلام بالذات ..

عناصر مشبوهة تعمل من أجل الصلح مع اسرائيل .. انطلاقا من دفع العقل العربي الى التسليم باستحالة اقتلاع اسرائيل .. بتشكيكه في عدالة

أهدافه وشرعيتها .

واذا سلم العقل العربي بذلك ، فذلك يعنى بداية الانهيار الشامل ، وعندئذ .. لن تغنى الطائرات ولا المدرعات .. عندئذ .. سيتحقق المخطط الصهيوني ، وهو حكم الوطن العربي من المحيط الى الخليج ..

لقد استطاعت اسرائيل أن تفرض وجودها بقوة السلاح . ولكن الأمة العربية ــ بتخلفها وضعفها ــ استطاعت أن تجرد هذا الوجود من شرعيته .. برفضه ، واستطاعت أن تفرض حوله حصارا من هذا الرفض .. أو قل انها فرضت على نفسها حصارا منعها من الانهيار ، منع اسرائيل من التسرب الى داخلها ، ومنع عناصر الضعف فيها من التسرب الى اسرائيل ــ عبر جسر من العمالة ــ يسلم الأمة كلها لاسرائيل .. فحتى ولو عجزنا عن محاصرة اسرائيل ومنعها من الاستمرار والوجود ــ فقد نجحنا في منع اسرائيل من استغلال هذه العناصر ، التي تتطلع الآن للقيــام بدور وكلاء الرأسمالية الاسرائيلية في حكم الوطن العربي بحماية العسكرية الاسرائيلية .. « فبالرفض اللفظي » الذي يريدون تجريدنا منه الآن طوقنا هؤلاء وشللنا أيديهم ..

والخطوة التالية ، هي أن نحرر ضمائرنا ، ثم نطهر صفوفنا من عناصر الضعف والتخلف ، ثم نخوض حربا لا نهاية لها الا ازالة اسرائيل ..

ومن هنا كانت ضرورة أن تعكف كل الأقلام الشريفة على دراسة أسباب الهزيمة ، وتحديد المسئولية ، بصراحة وصدق ، ثم تدعو الجماهير الى تغيير هذه الأسباب ..

ومن هنا كانت ضرورة الاهتمام بهذه الأصوات التي بدأت ترفع هنا وهناك ، وضرورة أن تتصدى لها في عجالة شديدة ..

والحق أنني عندما بدأت أجمع شظايا هذا الحوار لأرد عليه ، محاولا أن أبين للقارىء من هذه الشظايــا ملامح الغدر الذي دبر ــ كنت أفاجأ بالمتحاورين يسبقونني باعلان ما أحاول أن أدلل عليه !

انهم يمتازون اليوم بوقاحة نادرة ، وجرأة صفيقة .. أغرتهم النكسة

بنا ، فكشفوا عن أحقاد صليبية ، وثارات قديمة .. واندفعوا في خطتهم لا يخشون رادعا ، ولا يأبهون بغضبة .. فقد أنجزت لهم العسكرية الاسرائيلية الخطوة الأولى ، وبقي عليهم أن يفلسفوا الهزيمة ، وأن يصلوا بالانكسار الى غايته : الاعتراف باسرائيل ..

وقالوا : « يد الله مغلولة ..

« غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا .. »

ومن أجل أن نفضح هذه الأصوات ، ونقطع الطريق عليها ــ يأتي هذا الحديث .. فاغفر عجلته .. واصفح عن حدته .. فقد أظلنا زمان ادلهمت فيه الفتنة ، حتى اذا أخرج الرجل يده لم يكد يستبينها .. وأصبح المتمسك بدينه ، الحريص على عروبته كالقابض على الجمر ..

وليس الذي يقرأ .. كمن يكتب .

محمد جلال كشك
٣ ب شارع بهجت علي ــ الزمالك
القاهرة

رجب ١٣٨٧
نوفمبر ١٩٦٧

بلا عقيدة

« قاتلوا المسلمين » ..

انطلقت الصيحة في الغرب ..

اطلقتها أجهزة الصهيونية الواعية المدربة التي تعرف كيف تخاطب جماهير الغرب .. وكيف تضرب على الوتر الحساس في عواطفها .. وكيف تخاطب غرائزها .. وما ترسب في وعيها عبر عشرات الأجيال ..

« قاتلوا المسلمين » .

وانطلق الغرب يتطوع ويتبرع ويتظاهر في حماس جنوني .. وكأن بطرس الناسك (١) قد بعث من جديد .

وانتصر الصليبيون الجدد .. وانتزع بيت المقدس للمرة الثانية في التاريخ الاسلامي من يد المسلمين ..

وتنادت الأمة الاسلامية : واصلاح الدين ..

وكانت النكسة ..

صدقت النذر كاملة .. بل وبأبشع مما تصور اكثر الناس تشاؤما .. صح ما فتىء العقلاء يحذرون منه منذ سنوات ..

هزم أصحاب العقيدة الفاسدة من لا عقيدة لهم ..

انتصر اليهود الذين ظلوا يصافحون بعضهم ، الفي عام ويقولون : « العام القادم في اورشليم » ظلوا يرددونها مصدقين نبوءة كهانهم .. وهم

---

(١) داعية الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر ..

يفتتون الذرة ويسلحون بها الأمم لتفنى بعضها بعضا •• وهم يسيطرون على اقتصاديات الأمم وينبغون في العلم ويعلمون الناس الالحاد •• ولكنهم لا يخجلون من السفر الى القدس والبكاء عند حائط من بقايا معبد قديم •• يبكون مجد أجدادهم •• ويحتفلون بعيد الكروم في بلاد لا تنبت فيها الكروم لأنه من تراث دينهم ••

انتصروا على الذين تخلوا عن دينهم ، ورأوا الحديث فيه تعويقا للعلم •• وتخلفا عن ركب الحضارة ومجافـــاة لروح العصر •• وبعدا عن التحرر المنشود !!

انتصروا على الذين نسوا مجد أجدادهم •• واحترفوا سب هؤلاء الأجداد والتشهير بهم والهزء بتاريخهم ••

انتصر الذين آمنوا بدينهم وتراثهم وخرافاتهم •• وفي نفس الوقت •• بنوا مجتمعا مسلحا من قمة الرأس الى أخمص القدم •• مزودا بكل أجهزة الفتك والدمار •• الذين سخروا آخر كلمة في العلم لخدمة عدوانهم وتحقيق الحلم الذي ربطوه بتوراتهم وتلمودهم •• وألهبوا الحماسة له من دينهم •• وصنعوا لغة قومية من بقايا لغة انقرضت منذ ٢٠٠٠ سنة •• ولا يتكلم بها أي شعب من الشعوب •• لغة خرجت من الحياة العامة منذ ٢٠٠٠ سنة وبرغم ملايين الحقائق التي اكتشفت خلال العشرين قرنا الماضية ، والتي لم تعرفها العبرية ولا نحتت لها الفاظا •• برغم ذلك جاء هؤلاء ينحتون من حفريات لغتهم هذه ، الفاظا سياسية وعلمية يفرضونها على العالم بل ويتباهى بعض كتابنا باستعراضها •• « كنيست (١) •• هستدروت •• دافار •• الكيبوتيزم •• ناهال اوز •• الياتا •• يوتفاتا •• اداميت •• الدايبورا •• الهاسيديه •• الميتاغديم •• هاجانا • •ايرجون زفاي لومي » ••

هزم باعثو جيفة اللغة العبرية ، هزموا الذين جعلوا من لغتهم الحية

(١) تأمل لو أن عربيا اقترح ان نسمي البرلمان دار الشورى .. أو أن نسمي التعاونيات « الأشعريات » كم من مقالات ساخرة تنهال عليه .

الغنية « ملطشة » لكل كـاتب مريب او مستريب •• وجعلوا تسليتهم هي السخرية من الداعين للتمسك باللغة العربية ، لغة الأجداد والأحفاد ، بل أخلد وأعرق اللغات الباقية على ظهر الأرض وأغناها بالألفاظ وأقدرها على التطور والتعبير •• أصبحت الدعوة للفصحى تعنى الرجعية والحلف الاسلامي •• والتبعية للاستعمار وتعويق التطور العلمي •

واسرائيل تعلم بالعبرية التي كفت عن التداول الحي منذ الفين من السنين •• لأن علماء اسرائيل يعرفون انه بغير لسان قومي لا توجد أي خاصية من خصائص القومية •• وبغير الاعتزاز باللسان القومي لا توجد فنون ولا آداب ولا علوم ولا وطنية ولا دافع للاستشهاد •• فانشأوا لقوميتهم الوهمية لساناقوميا •• بل واشترطوا على المهاجرين « عبرنة » أسمائهم •• أي اتخاذ اسماء عبرية من التوراة (١) •• انتصر اليهود الذين يشكلون في جيشهم فرقا خاصة لسحب القتلى ويهتمون بهذا العمل اهتماما يفوق كل حد رغم نقص القوى البشرية عندهم •• وخطورة هذا العمل في الحروب الحديثة •• ولكنهم يهتمون به حرصا على دفن القتلى وفقا لشرائع الدين اليهودي التي وضعت

(١) فطالما سنظل يهودا وطالما سننادي بأن التوراة كتابنا يجب ان نقدس اللغة التي كتبت بها تقديسا لا حد له « موريس جوزيف .. يهودي انجليزي ١٩٠٧ » .

« الذين يبعدوننا عن اللغة العبرية يضمرون الشر لشعبنا ومجده الخالد » (بيرتس سمولنسكين ١٨٤٢/١٨٨٥) •

« وشمويل يوسف عجنون » لا يكتب الا بالعبرية ويصفها بانها لغة الله وان الله لا يتكلم الا بالعبرية وفاز بجـائزة نوبل عن مؤلفاته بالعبرية (المصور) .. بل ويطالب بعدم انسحاب اسرائيل من المناطق التي احتلتها بعد ٥ يونيو لأن هذا ضد ارادة الله .. ولم يجد في مكانته كحائز على جائزة نوبل ما يتنافي مع هـذه الدردشة والعنصرية .. والبغاث في بلادنا يتحلون بالعلمية ويصرون على توعيتنا بخطر الأرضية الدينية .

منذ آلاف السنين (١) •• وعندنا اقترح تقدمي متطوعا غير مشكور •• الغاء اجازة المولد النبوي حتى لا يتعطل المجهود الحربي يوما كاملا •• وكنا قد اوقفنا اطلاق النار والحمد لله •• لولا أن تدارك حكيم الأمر •• فأعلن بطلان هذا القرار •• وكانت الاجازة وكان الاحتفال ••

قلنا منذ سنوات انه لا قيام لأمة بغير عقيدة ، ولا عقيدة للعرب الا الاسلام •• فلن يفل الحديد الا الحديد •• ولا يقهر التلمود الا القرآن •• ولا يقوى على الطموح الصهيوني لبناء قومية يهودية مستندة الى الدين اليهودي الا مواجهتها بطموح عربي لبعث القومية العربية المستندة الى الدين الاسلامي ••

قلنا هذا كله •• وتحملنا ما لا طاقة لبشر على تحمله •• يوم انطلق عملاء المخابرات الامريكية ، والمدافعون والعاملون في مجالات المخابرات الامريكية ودعاة التعقل والحكمة وبلادهم محتلة والمسجد الأقصى مدنس بالاحتلال اليهودي •• يوم انطلق هؤلاء ينسبون كل دعوة للاسلام الى

(١) كتبت احداهن في مجلة روز اليوسف ١٩٦٧/٧/١٠ « غير معقول ان تتحول المسلسلات التليفزيونية كلها الى مسلسلات دينية «مريم المجدلية» و « رسالة السماء » أربأ (هي تربأ) بالدين ان يزج به في المعركة وان (يصور حربا) مع اسرائيل على انه (هكذا) نزاع بين اليهودية والاسلام لا بين الصهيونية التي تحركها الأصابع الاستعمارية » ..

أرأيت ان أمامنا أكثر من كأس للمذلة سنجترعها قبل ان نتخلص من « واغش » التقدمية .. الذين لا يحسنون حتى صياغة ما أفرخ في عقولهم من سموم الغزو الفكري .. ويربأون بالدين ان يزج به في المعركة .. وماذا زججتم في المعركة حتى تربأون بالدين ..؟

بينما يقول مؤسسو دولة اسرائيل « الحياة الدينية اليهودية هي دون سواها سر خلود اسرائيل .. وسيظل اسرائيل خالدا طالما بقي متعلقا بالتوراة ، فاذا هجر اسرائيل التوراة ، اندثر تاريخه في رمال الصحراء ولو ظل مقيما في أرضه وبلاده ..

لذا يجب ان تكون بلاد اليهود الناهضة خير خلف من الوجهة الروحية لبلاد اليهود فرسالتها قديمة كانت أم حديثة هي ان تظل محافظة على شخصيتها وكيانها (هرتس / ١٩١٨) .

« ان نهضة اسرائيل القومية واحياء الدين اليهودي امران لا ينفصلان » (شختر) .

الرجعية والحلف الاسلامي ويحملون معاول تهدم كل القيم وكل التراث ..

جعلوا من عصور الرشيد والمأمون عصور « الماخورات والدعارة » .. ومن تشريعات الزواج في الاسلام بل ونصوص القرآن « تشريعات بدائية ، وأفكار كهنة ، وأحذية صينية ، تشل نمو مجتمعهم النامي جدا .. وجعلوا آية (مثنى وثلاث وربـــاع) .. استغفر الله .. « لمبة حمراء تنير فراش الرجل » .. وعاثوا في تاريخنا فسادا .. فابن خلدون ناقل أفكار من الغرب .. والمعري تلميذ الصليبيين .. والحركة القومية في مصر تبدأ بجاسوس عمل في خدمة جيش الاحتلال الفرنسي ..

انطلق انصار « حوار » صحيفة المخابرات الامريكية والذين يحررونها ، انطلقوا يحددون من هو الرجعي ، ومن هو التقدمي في بلادنا ، ويتباهون علنا بأنهم هم الذين أغلقوا مجلتي « الرسالة والثقافة » المنابر التي أضاءت طريق الأمة العربية طوال نصف قرن .

ما من عميل لمجلة « حوار » الصادرة عن المخابرات الامريكية .. وعن منظمة صهيونية يرأسها يهودي ، الا وهز أعطافه مبتهجا باغلاق « الرسالة » محذرا من عودة الرجعية باعادة اصدارها ، منذرا بمصير الذين أصدروها ، وكتبوا فيها ، وفضحوا المتآمرين على العروبة والاسلام .. وفي نفس الوقت نراهم يأسفون على مصير مجلة « حوار » ويؤكدون انهم قرؤوها واعادوا قراءتها فما وجدوا بها عيبا .. ويتهمون الذين هاجموا « حوار » بأنهم من صحافة الحلف الاسلامي (١) .. وبعد ما فاحت وذاعت وشاعت ونشرت في سائر الصحف صلة « حوار » بالمخابرات الامريكية راحوا يثنون على رئيس تحريرها ورئيس المنظمة الصهيونية التي تصدرها ، ثم يحيون موقف هذا الرئيس تحرير لأنه استقال بعد ما أصبح استمرار المجلة من المحال ..

وصبرنا على ذلك كله .. وفي اصرار الشهداء لم نكتم رأيا ولا بخلنا بنصيحة ولا خشينا في الله لومة لائم ولا غضبة غاضب .. كنا ندرك ما يدبر

---

(١) مقالات لويس عوض بالاهرام ..

لأمتنا ونعيه •• ونعرف ان ما يدبر لنا هو الهول الذي لا هول مثله واصهار اليهود يسيطرون على الطليعة ويوجهون الثقافة للجماهير •• (١) •

كنا نعرف ان حفنة من المثقفين المسيطرين على الفكر العربي ، هم قشرة عفنة متهرئة ، تفرز صديدا وتفسد على الأمة تفكيرها وتصيبها بعاهات وأنواع عديدة من الشلل •• وانهم لأسباب خاصة جدا ـ كما قال براون ـ لا يستطيعون بغض اسرائيل ولا يمكنهم الدفاع عن الاسلام ••

فهم لا يعيشون مشكلة اسرائيل ولا يحسون خطرها •• اهتمامهم بنجاح اليسار الفرنسي في الانتخابات ضد ديجول ، يفوق اهتمامهم بسقوط بيت المقدس والعريش ••

(١) في ١٩٦٥/٥/١٦ ارسل م.ص.م. من كلية .. بجامعة الأزهر خطابا الى مجلة الرسالة قبل ان يغلقها « لويس عوض » مرفق به قصاصة من صحيفة الاخبار يقول فيها « ابعث لكم بهذه الكلمة من أحد التقدميين ، اقرأها جيدا فهو يسلم بوضع اسرائيل ويعترف بها هكذا على وضعها الموجود حاليا .. فنرجو ان تعلق بما تراه مفيدا والمصيبة الكبرى انه يعترف بذلك في جريدة كبرى يومية .. هذا وقد وضعت لكم خطا تحت الجملة المقصودة حتى لا يعوزكم الأمر الى التعب والبحث .. »

والكلمة المرفقة بعنوان « رأيت أمس » يستعرض فيها الكاتب احلام الغد « صحيفة الانذار » بالمنيا توزع مليون نسخة .. وصحيفة أسوان توزع ٣ ملايين .. وابنته نادية تركب الصاروخ في رحلة قصيرة الى القمر .. وبعد ان ينسطل القارىء بهذه التمنيات عن الغد السعيد « يفوت » المحرر بيت القصيد وهو ما وضع القارىء تحته خطا فيقول : « وانتقلت بين القاهرة وتل أبيب ودمشق وبغداد بطائرة هليكوبتر تسمى التاكسي الجوي .. انها طريقة الانتقال المحلية بين البلاد العربية .. »

ولو كان الأمر غير ما فهمه القارىء ، لما أصر الكاتب على ذكر تل أبيب بالذات ، كان بوسعه ان يقول حيفا أو يافا .. أو عكا .. لأننا عندما نسترد فلسطين باذن الله .. فلن تكون هناك مدينة اسمها تل أبيب ..

أظن ذلك مفهوما .. فالمعنى المقصود بوضوح هو انه في ذلك الغد السعيد سيفتح الطريق للسفر من والى تل أبيب مع دمشق وبغداد والقاهرة .

فاذا اضفنا الى ذلك ان الكاتب لديه أسباب « خاصة جدا » .. كما قال براون .. كان لنا ان نقول مع القارىء انها مصيبة كبرى ..

والمصيبة الأكبر ان تغلق الرسالة ويشرد كتابها .. ويولى المسافرون الى تل أبيب بالتاكسي الطائر مهمة توجيه الجماهير ..


سارتر

فيم كان اهتمامهم قبل العار بأسابيع ..؟

كانوا يتسابقون على دعوة اليهود وأنصار اليهود .. جاءوا بسارتر الى بلادنا كالغزاة وطافوا حوله طواف العاهرات بجيش الاحتلال .. وجاء سارتر بعشيقته وعشيق عشيقته .. وهو يهودي الدين ، صهيوني الميول .. لا يخفي يهوديته ، ولا يوارى صهيونيته .. فلم يجرؤوا على الاعتراض حتى لا يغضب سارتر فتزلزل الأرض زلزالها ، بل بعضهم أراق ماء وجهه عند اليهودي هذا ليكون له واسطة عند عشيقة سارتر العجوزة والعجوز .. فتمهد له بدورها طريق اللقاء مع سارتر فيحظى منه بكلمة او بنصف جملة ، فيفوز بها في سوق الصحافة فوزا عظيما .. وطافوا حوله يعرضون أنفسهم كالجواري في سوق الرقيق ، ولم يتورع هو وحيزبونه عن الكشف عن سيقانهم وفحص اسنانهم وابداء كلمات الاعجاب والنصح والتقريع .. ما كان ينقصهم الا جمع بصاقه وما يتساقط من شعره وشعرها ..

وعندمـــا دفعت الحمـــاسة بعض شباب الصحفيين ، من غير القادة والموجهين ، من غير سادة الفكر ، الى ان يسألوا سارتر سؤالا عن قضية فلسطين حتى لا يخرج بانطباع انها قضية من اختراع الحاكمين ولا تشغل بال المثقفين الذين تحاشوا ان يحدثوه فيها .. عند ما سأل بعض الصحفيين سؤالا عن فلسطين ضاق منظمو الحفل بهم وهاجموهم واتهموهم بالتخريب واعتذروا للضيف الكريم الذي تحداهم بقوله « ان لي رأيا في قضية فلسطين » .

مع ان كل دعواهم انهم جاءوا به ليكسبوه لصف العرب .. ومن ثم كان المفروض ان ينحصر برنامج الزيارة في الحوار حول فلسطين ..

اما « تفتيش » سارتر على نظامنا فهو اهانة من بقايا العبودية لأوروبا ..
ونحن لا نحتاج لشهادة من باريس بحسن سلوكنا وكون الدول العربية رجعية أو تقدمية ، رأسمالية أو اشتراكية لا علاقة له بحق اليهود في الاستيلاء على أرض العرب .

وقد أثنى سارتر على نظامنا .. وأيد حق اسرائيل في ضرب هذا النظام وانتزاع أرض شعبه ..

جاءوا بسارتر وانشغلت صحفهم في ما يشبه الحمى المسعورة في طبع آيات التحية .. وتسجيل الحدث التاريخي الذي به كرمت الكنانة .. وانتصرت العروبة .. الا وهو زيارة سارتر وعشيقته .. وعشيق عشيقته .. لمصر .. والغت دور النشر جميع تعاقداتها لتؤلف المجلدات عن سارتر .. وأنا أراهن بسنوات عمري وهي كل ما أملك .. ان كان قد طبع في هذه الدور قبل العار عن فلسطين ، ربع ما طبع عن سارتر في هذه الحمى المسعورة من الترامي على أقدام من لم ينكر تأييده لاسرائيل ، قبل الزيارة وخلالها وبعدها ، بل والذي أصر على أن يصحب اليهودي معه وان يكون برنامج الزيارة متضمنا توجهه الى اسرائيل مباشرة بعد زيارته التفقدية لمصر (١) .. والله أعلم بما فعله هذا اليهودي الذي نزل ضيفا علينا رغم أنفنا .. كما يبدو وماذا رأى .. وماذا سجل .. ومن قابل .. وماذا نقل ..

ولما وقعت الواقعة .. ووقف سارتر الى جانب لندون جونسون ، ونسى كل اتهاماته لجونسون .. ففي سبيل اسرائيل مغفورة كل الخطايا ،

(١) سئل سارتر بعد عودته من زيارة مصر .. « هل وجدت في الاوساط العربية محاولة للاعتراف باسرائيل ؟ فأجاب : ليست هذه هي المسألة .. وذلك لعدم وجود حزب يساري قوي في مصر فان الحكم الاشتراكي في مصر ما زال في مراحله الاولى .. وذلك لا يسمح بوجود احزاب يسارية قوية .. »
ولعل هذا هو سر النغمة التي تعزف الان باصرار مطالبة « بالحزب الطليعي الاشتراكي » .

مباحة كل الجرائم •• (١)

ووصلت الدناءة بسارتر الى حد القول بان هذه الحرب ليست عدوانا استعماريا على العرب ، بل هي عدوان من العرب على اسرائيل ••

وصل الأمر بمضيف سارتر حد الاعتذار عنه ، حتى بعد ما أدانه المفكرون الفرنسيون أنفسهم •• فيكتب باستهتار فاجر : « قال لي جان بول سارتر وهو في حالة تقرب من التمزق الداخلي » ••

ما الذي بقى من سارتر لم يتمزق ؟•• وأنتم يا حاشية سارتر •• ألم يبق فيكم صلب يتمزق ؟•• أو تسمون ذلك تمزقا داخليا ؟•• ان له اسما آخر •• لولا أن ديننا ينهي عن الفحش في القول ••

ان من يريد ان يؤرخ الذلة التي أصابت جيلنا على يد أذلاء الأرض •• اليهود ، فليؤرخ بدايتها باليوم الذي دخل فيه مصر « كلود لانزمان » اليهودي الصهيوني ، عشيق عشيقة سارتر •• ووقف المسئول عن الثقافة يقول : « انه لمن دواعي سرورنا أن نرحب كل الترحيب باسم المثقفين في الجمهورية العربية بالمسيو جان بول سارتر ، ومدام سيمون دى بوفوار ، وزميلهما كلود لانزمان » ••

« وليس من الضروري أن أقدم لكم جان بول سارتر ولا سيمون دى بوفوار فان فلسفتهما وأفكارهما ومواقفهما معروفة في القاهرة •• كما هي معروفة في باريس والعالم كله •• انه بحق يمثل عصره وزمنه •• لأنه من هؤلاء الكتاب الذين حملوا لواء الحرية الانسانية والذين يعيشون هذا الصراع السياسي والمعاناة في سبيل التقدم • واذا كان جان بول سارتر محبوبا هنا في بلادنا فلأننا نرى فيه المثال الحي الذي يخدم فكرة انسانية لأنه يؤمن بضرورة الحوار بين الشعوب (اضبط) • ويدين كل من يقاوم

---

(١) ما يدور في المقابلات الخاصة بين هذه الشرذمة وسارتر وامثاله يعطي امثال سارتر انطباعا بان المثقفين العرب يؤيدون الصلح مع اسرائيل ولكن الجو الرجعي لا يمكنهم من المجاهرة بذلك .. فيخرج .. بانطباع بان العرب والتقدميين منهم بالذات ، غير مصرين على عداوة اسرائيل .

هذه الحرية (هل خدعكم سارتر ؟) ..

« ان وجود هذين الضيفين العظيمين رمز لما يدعو اليه كل الذين يؤمنون بالارادة الحرة .. انه يمثل أعظم حلم .. وهو حلم الأخوة الانسانية » ..

وقال آخر :

« التقى المفكر العظيم جان بول سارتر لقاء رائعا في السادسة والنصف من مساء أمس بأكثر من أربعة الآف شخص .. وكان هذا اللقاء بفكر سارتر الثوري البالغ الوضوح والشجاعة هو أكبر لقاء ، اذ يستوعب هذا العدد الغفير من جماهير المثقفين على اختلاف درجاتهم ، ابتداء من أولئك الذين يطلبون العلم في رحاب الجامعة ، حتى حملة الأقلام ، وكبار رجال الفكر المسئولين وذلك بعد ان التقى ثلاث مرات بجماهير عمال ومثقفي الصعيد في أسوان » (١) .

وقيل :

« في اجتماع صغير يضم عددا محدودا من السيدات المصريات ، جلست سيمون دى بوفوار تسأل وتناقش في مشكلة المرأة المصرية .. ولقد اختارت مدام دى بوفوار أن يكون عدد السيدات اللاتي تقابلهن محدودا حتى تستطيع إذ تسأل أكبر عدد من الأسئلة عن المرأة المصرية في مرحلة التحول الاشتراكي .. وكان واضحا انها تريد أن تعرف كل ما يمكن .. »

اما صديق « حوار » فكتب يقول :

« .. لن تقهري ..

« منذ نزل سارتر وسيمون دى بوفوار وكلود لانزمان ضيوفا على « الاهرام » اصطحبناهم يوما بيوم ليشاهدوا معالم بلادنا .. واخذ سارتر ، لأنه لم يكن يتوقع كل هذا الاخلاص .. وكل هذا الاتقان في لغة غير لغته ..

---

(١) الاهـرام ١٩٦٧/٣/٥ (قبـل ٣ شهـور بالضبط من عدوان اصدقاء سارتر علينا) .

وفي شعب غير شعبه .. ولكننا أخذنا معه ، حين رأينا أبناءنا الطلاب ينثرون حوله وحول سيمون دي بوفوار دفئا أكثر من شمس ربيعنا الدافيء .. لقد كان واضحا انهم قارئون لهما ، عارفون بأفكارهما الأساسية .. وعندما رأيت ما رأيت قلت لنفسي .. لن تقهري يا مصر ما دام فيك شباب ينبض بحب الحرية وينبض بحب الأحرار » (١) .

أعرفت لماذا قهرت مصر في الخامس من يونيه ؟.. لأن مثل هذا الشباب كان يطفح على وجـه الثقافة في مصر .. شباب يبعث الدفء في اوصال لويس عوض .. شباب يعرف أفكار سارتر الأساسية .. الصهيونية ، ثم لا يبغضه بغض الموت .. بل يحيط به .. وفي اسرائيل يتظاهرون ضد وصول سفير الماني .. بعد كل ما دفعته المانيا لاسرائيل .. ولكن هكذا كما يقول أحد مؤسسي الصهيونية « كن مهيبا يهابك الناس » ..

اما نحن فدليل اننا لن نقهر ، التفاف شبابنا حول داعية اسرائيل !!

« الى المفكر الشجاع .. جان بول سارتر .. يا سارتر الذي يضيء معتم الضمير » (٢) .

هذا الموقف من سارتر هو مجرد مثال على تهتك وتبعية القيادة الفكرية التي تحملت وحدها مسئولية توجيه الفكر العربي منذ عام ١٩٦٤ ، وتتنصل الآن من مسئولية ما جنت وما قادت الأمة اليه من التفسخ والانهيار .. عندما جردتها من الدين والحس القومي .

وكان الظن ان أقصى ما يحاولونه بعد ان فضحهـم سارتر بتأييده للعدوان .. وبعد ان أصدر بيانا يؤيد فيه اسرائيل ، وقعه كما يقولون مع « صهيونيين حتى أطـراف اصابعهم » بيانا « ظلت الاذاعـة الاسرائيلية ، تذيعه لمدة يومين بمعدل سبع مرات كل يوم (٣) » . كنت أظنهم سيوارون

---

(١) لويس عوض : الاهرام ١٩٦٧/٣/٣ .
(٢) قصيدة شعر : محمد ابراهيم ابو سنه : الاهرام ١٩٦٧/٣/٣ .
(٣) الاهرام : ١٩٦٧/٣/٣ .

عارهم بمجرد فرض الصمت والتجهيل على الشعب الذي نكب بوصايتهم ..
ولكني والحق يقال ، وعلى طول ما عرفت من توقحهم لم آتصور أبدا ان يبلغ بهم الأمر حد الدفاع عن سارتر ، حد التقول عليه ، والزعم بأنه يناصر العرب ويعاني تمزقا داخليا من أجلهم .

ان ذلك الذي نشر باسم « حوار مع سارتر » هو صفحة مذلة جديدة للفكر العربي .. صفحة مذلة ما كان يمكن ان تنشر الا استنادا لحقيقتين :

★ انهم يفرضون أرهابا فكريا على الملايين العربية ، تسمح لهم وحدهم بان يقولوا بلا معقب ولا مفند لهم ولا محتج .

★ انهم في ظل هذا الاحتكار الذي يتمتعون به ، يمارسون احتقارا بالغا للعقل العربي ، للانسان العربي ، فلا يتورعون عن نشر أية أكاذيب مهما تكن سخافتها ولا معقوليتها لأنهم وحدهم يملكون حق الكلام .

بين آلام الأمة العربية ومأساتها الرهيبة ، كانوا في باريس « يحاورون سارتر » كانت الأراضي العربية تموج بجيش احتلال اذلاء الأرض .. وتتجرع أمتنا كأسا من المذلة ، لم تتجرع مثيلها على طول تاريخها وكانت رؤوسهم « تموج بعلامات الاستفهام المتلاطمة .. كيف يمكن لرجل اشتهر بمواقفه من أجل الحرية .. ان يتخذ موقفا مضادا منها عندما يتعلق الأمر بإسرائيل .. »
كأنها أول مرة ..

وفي سبيل الدفاع عن سارتر ، يمتهن الانسان العربي ويمتهن عقله وادراكه فتروى لنا محادثة وهمية جرت مع سارتر والخاطئة سيمون شرح لهما فيها كاتب كبرى الصحف العربية ، كيف ان ايلات كانت قرية عربية اسمها « ام الرشراش » .

ودهشت سيمون (١) وارتج عليها وارسلت نظرة تساؤل الى سارتر ،

---

(١) التي أستضافها الكاتب قبل ٣ شهور للتفتيش على الحركة النسائية في مصر .. كانت تظن ان ايلات موجودة منذ عهد الالـواح وموسى .. بمن يغرر هؤلاء ؟

الذي أجاب بدوره بنظرة يتبعها صوت متعب (لم يقل لنا من ماذا ؟) .

قال سارتر ـ هذا صحيح قانونا .. لقد عرفت ذلك أخيرا .. وصاحت سيمون دى بوفوار : « لماذا لم توضحوا ذلك .. لماذا لم تشرحوه للرأى العام هنا » .

وقلت : هذا بعض أخطائنا .. وأنا أعترف بها ..

هل رأيت أيها المواطن العربي .. غلطة من التي تسببت في تأييد سارتر للصهيونية ؟.. غلطتنا لأنه فاتنا ان نقول لفيلسوف العالم وضمير العصر ، أن ايلات كانت أم الرشراش (١) .. انه يصدر عددا خاصا من مجلته عن قضية فلسطين يحملنا في مقدمته مسئولية كل ما جرى عام ١٩٤٨ .. يصدر هذا العدد دون أن يقرأ كتابا أو يدرس وثيقة أو يتأمل خريطة .. ولا قرأ ما ظلت صحفنا تنشره منذ بداية الأزمة ، والى الخامس من يونيو ؟.. ولكن سارتر قبل ان يفتى ويصدر البيانات في حرية عبور المضايق والمياه الاقليمية دون أن يعرف من أين والى أين تبدأ هذه المياه وتنتهي ..

وبعد ان يلقي علينا العقائدي التقدمي محاضرة في خطأ طرح القضية على « أرضية دينية » .. مع اننا نشهد ـ والحق يقال ـ أنهم لم يطرحوها على هذه الأرضية أبدا .. انما الذين فعلوا هم اليساريون الفرنسيون .. الذين ركزوا دعايتهم على « حرب المسلمين لليهود » لأنهم أعلم بالعواطف الحقيقة التي تحرك رجل الشارع في أوروبا .. ويعرفون العداوة الكامنة التي يثيرها « جيش المسلمين » في اوروبا ـ امريكا الصليبية .. لذا فهم في وقت الجد يستصرخون صليبيتهم ، تاركين لصعاليك الفكر التقدمي مهمة تفتيت مقاومة شعوبنا المسلمة بالتحذير من « الأرضيات الدينية » .

أما المذل حقا فهو الرد الذي وضع على لسان سارتر ليؤكد به أن العرب

---

(١) وماذا كان النوكي يقولون له طوال رحلته في مصر .. ان لم يقولوا ذلك .. وما الجديد .. هل يجهل سارتر ان فلسطين كلها كانت عربية وليست ام الرشراش وحدها ؟..

ليسوا المسلمين وحدهم •• يقول سارتر كما هو المنشور بالحرف الواحد :

« يجب أن أؤكد أولا أنني رأيت عربا ليسوا مسلمين •• هذا صحيح فعلا •• ومن هنا فأنا لا أوافق على اعتبار المشكلة مشكلة دينية » ••

ولا أدري لماذا لم تنشر الصحيفة هذا النبأ المذهل في صدر صحيفتها الاولى •• فتخرج علينا بمانشت أحمر أو أصفر يقول « سارتر يؤكد أنه رأى عربا مسيحيين » •• ومن المؤلم حقا أن المحرر ضن علينا بتفاصيل هذا الحدث العجيب والنادرة التاريخية •• رؤية سارتر ، بالعين المجردة ، عربا مسيحيين ، الأمر الذي أكد له انها ليست حربا دينية •• لأن المسلمين وحدهم لا يمكن أن تكون حروبهم الا حروبا دينية •

مطلوب منا نحن العرب •• أن نصدق أن سارتر لم يكن يعرف بوجود عرب مسيحيين •• حتى رآهم رأى العين •• فطوبى لمن آمن ولم ير ••

سارتر لم يقرأ كتابا عن تاريخ فرنسا ودورها مع المسيحيين في الشرق •• سارتر لم يسمع بلبنان الذي حكمته فرنسا ثلاثين عاما •• سارتر لم يسمع بالكنيسة القبطية أقدم كنائس العالم •• وكان بحاجة الى أن نرسل له مسيحيين عربا أحياء يتحسسهم ليتأكد من وجودهم •

رغم كل كراهيتنا لسارتر ، فهو أكبر من أن يقول هذا •• وصحف فرنسا أكثر احتراما لنفسها من أن تنشر هذا •• ولكنه ينشر علينا •• نحن الأسرى الذين ينكل بنا •• بقراءة هذا التقول • ويفرض علينا أن نصدق ذلك لكي تبرأ ساحة محرري « الطليعة » الذين دعوا سارتر ، واليهودي عشيق عشيقته الى بلادنا •• وأقاموا لهم أقواس النصر ، وروجوا لمجلته التي اندفعوا الى « حوار مفتوح » فيها مع الاسرائيليين •• ولم يبخل عليهم رئيس تحريرها اليهودي ضيفهم بالتقريع والسخرية وجمع المقالات العميلة للصهيونية الى جانب مقالاتهم •• ثم هم اليوم ، ورغم كل ما أعلن وذاع ، يفترون الكذب على لسان سارتر ليبرأوا أنفسهم ويعيدوا الحوار معه •• ومع من خلفه من فوق رأس الشعب العربي •

يعترف « المحاور » أن سارتر قد « لزم الصمت منذ البيان الذي أيد فيه اسرائيل الى أن عانى ما يشبه التمزق الداخلي •• ويعتذر على لسان سارتر في المسرحية المسلسلة المنشورة في صحيفة الأهرام بأن سارتر « لم تتح له فرصة مخاطبة العرب مباشرة » •

ولم نفهم ماذا يطلب سارتر لكي يخاطب العرب مباشرة •• دعوة أخرى ؟ وكيف خاطب اليهود مباشرة •• بل ألم يكن بيانه الذي أيد فيه اليهود يخاطب العرب مباشرة ؟ ولو نشر اليوم سطرا يؤيد فيه العرب لوصل مباشرة الى العرب ولعلقه اتباعه على أستار « سميراميس » •• ولكن سارتر لم ينشر حرفا في جريدة أجنبية يؤيد فيه العرب •• ومن حقنا اذن أن نرى في هذا الحوار « الافتراضي » الذي نشر في القاهرة ، مجرد تعبير عن رأى ناشره ، ولا شأن له بسارتر ، الا كصلة سقراط بمحاورات أفلاطون على لسانه • لأن سارتر يملك أكثر من وسيلة للنشر يستطيع أن يعبر خلالها عن رأيه بطريقة أوضح وأصرح •• ونحن لا يعنينا موقف هذا الصهيوني القميء في شيء •• ونرفض خلع صفة انسانية على من لا تتحرك انسانيته لشعب يطرد طردا من أرضه •• ويقتل فوقها ليسكنها آخرون •• ثم يتناقش في السلام والحرية والمأساة وعقدة ذنب •• الخ •

ان الذي يعنينا هو فضح هذه الفئة المسيطرة على الفكر العربي ، والتي تريد استغلال الهزيمة العسكرية في فتح حوار مع اسرائيل •• فهذا الحوار الدائر فوق رأس الشعب العربي مع سارتر وغيره ، انما يراد به أن يسمع في غير فرنسا •• وأن يرد عليه بغير الفرنسية •• اننا نأمل بفضح هذه الطغمة وأن تهب الجماهير العربية لسحق سيطرتها قبل أن تقودنا للدمار النهائي بعد أن قادتنا الى العار والمذلة ••

ومن هنا فان النقاش لما وضع على لسان سارتر ، ولما نشر على لسان غيره هو في الحقيقة ــ نقاش لوجهة نظر كاتبه العربي الجنسية ، خاصة وأنه لم يرد عليه ولا احتج عليه •• ولا علق حتى مجرد التعليق ••

تبرئة الصهيونية

تقول كبرى الصحف العربية علــى لسان سارتر : وفي تقديري ان الصهيونية كما تصورها هرتزل في « نهاية القرن التاسع عشر ، أي القائمة على فكرة انشاء دولة يهودية في القدس ، لم تكن جريمة بمقياس ذلك العصر .. لماذا .. لقد كانت حلا استعماريا مثل كل الحلول الأخرى في ذلك الحين ، لم يكن أحد يفكر في ذلك الوقت في مصير الشعوب المستعمرة ، أو التي كان يفرض عليها الاستعمار بالانتداب ، وكانت فلسطين تتبع في ذلك الوقت الأتراك (١) » .

ولم يجد المحرر العربي الجنسية ما يعترض به على هذه التبرئة للحركة الصهيونية بل اعترض فقط على محاولتها للتوسع .. يقول : « ولكن ألا ترى أن الأمر الخطير هو أن الصهيونية تهدف باستمرار ــ وبحكم مفهوم الأحداث المتوالية ــ الى توسيع حدود اسرائيل على حساب العرب لافساح المجال لمهاجرين وعلى الدوام .. »

وهذا المنطق المزيف يبرر مولد الحركة الصهيونية ، ويبرر تطلعها الى انتزاع فلسطين من شعبهــا العربي وتآمرهــا على تحقيــق هذا الهدف الاستعماري ..

وليس صحيحا ان الاستعمارية لم تكن مدانة في هذا الوقت ، وصحيح انها لم تكن مدانة ــ ولا زالت ــ في ضمير الانسان الغربي ، القائم على

(١) الاهرام ٦٧/٧/٣ . هذه نقطة خطيرة لا في تفكير سارتر ، بل في تفكير ايتام المعلم يعقوب ، وصبحي وحيده .. فما دام الاتراك مستعمرين مثل الانجليز والفرنسيين والصهيونيين .. فلا فرق بين الخضوع للاتراك او الانجليز .. بل بموجب « المادية الجدلية المخابراتية المركزية التبشيرية الصليبية » .. فان الجديد أفضل من القديم ، فانتقال مصر الى الاحتلال البريطاني خطوة تقدمية ، وكذلك انتقــال فلسطين من حكم الاتــراك للصهاينة ؟!!..

التفرقة بين البشر •• ولكنها كانت مدانة عند الانسان الشرقي •• وهل أدل على الادانة والرفض من المواجهة المسلحة لحركة الاستعمار الغربي •• من التاريخ الدموي للاستعمار الغربي في الشرق ••

ان القيم لا يحددها الغرب ، ومقياس الفضيلة والرذيلة ليس موقف الغرب وحده منها •• ولا يمكن ان نحكم على الجريمة من وجهة نظر مرتكبيها ••

ان الغزو الفكري الذي صور لنا أن التاريخ مجرد موظف في بلاط الحضارة الغربية بحيث تصبح وجهة نظر هذه الحضارة هي وحدها المحددة لما هو المشروع وغير المشروع •

كانوا يقررون ان القانون الدولي هو ما يسود علاقات المجتمع المتدين •• اما خارج هذا المجتمع الغربي فهم احرار في سلوكهم ، وبالتالي فأي جرم يرتكب خارجه ، أي في أرض الغالبية العظمى للجنس البشري وصناع الحقبة الكبرى من تاريخ الانسان •• وبموجب هذا المنطق كان أي جرم يرتكب ضد الشعوب الملونة لا يعد جريمة •• تماما كذبح الحيوان ، ليس قتلا ••

كيف يطلب منا ان نقبل هذه المقاييس •• أن نعتبر ابادة شعبنا وطرده من أرضه ليس جريمة •• بمجرد أن الضمير الغربي وقتها لم يكن يرى ذلك؟••

انها جريمة بجميع المقاييس وجريمة مرفوضة ، رفضناها وقاومناها وأدانتها شعوبنا •• ولكن المفكرين « الأحرار » الذين جرى الحوار معهم وقوات الاحتلال الصهيوني جاثمة فوق أرضنا •• بذلوا جهدهم في تبرئة الحركة الصهيونية •• وتبرئة أهدافها في استعمار فلسطين •• وقبل المحررون العرب ، الحوار معهم على هذا الأساس ولم يعلقوا عليه ، فضلا عن رفضه وتفنيده ••

وبعد هذا التسليم بمشروعية الحركة الصهيونية ــ على الأقل بمقاييس مولدها ــ نرى الحوار ينتقل لنقطة أخرى هي شرعية الوجود الاسرائيلي ••

ولأن الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية تعترف بوجود اسرائيل ••

ولأن كوسيجين وجونسون عندما اجتمعا خرجا باتفاق على حقيقة واحدة هي أن اسرائيل وجدت لتبقى •• لذا أصابت الحكمة كتابنا ، ودعونا للتخلي عن شعار ازالة اسرائيل •• أي شعار عروبة فلسطين •• لأن لا الأصدقاء ولا الاعداء يقبلون هذا الشعار •• وانحصر الحوار في البحث عن اسلوب للمعايشة مع اسرائيل •

والحوار كما وضحت خطوطه وتتضح كل يوم يهدف الى الاعتراف باسرائيل •• وهو يعتمد على عدة مفاهيم بدأ الترويج لها علنا وبتبجح منقطع النظير •• وهي :

- التفرقة بين اليهود والصهيونية •• واللعب على حكاية عداء السامية ، والنشاط النازي ، والسخرية من الحديث عن مؤامرة صهيونية •• والاصرار اللحوح المجوج على وجود يهود يعادون الصهيونية ••
- اعطاء اسرائيل شكل الدولة والمجتمع ، تنقسم داخليا الى شعب وطبقة حاكمة والطبقة الحاكمة مرتبطة بالاستعمار وبالاستعمار الامريكي بالذات، فهي عميلته في الشرق الأوسط •• وليس صحيحا ـ عند هذا المنطق ـ ان اليهود او حتى الصهيونية تسيطر على امريكا •• بل ان امريكا هي التي تسيطر على اسرائيل • ومن خلال هذه التبعية تمثل اسرائيل المصالح الامريكية في الشرق الاوسط ••

فالشعب الاسرائيلي لا مصلحة له في هذه العلاقة بين الطبقة الحاكمة والولايات المتحدة الامريكية ، وبالتالي فان تحرر الشعب الاسرائيلي من سيطرة عملاء امريكا كفيل بانهاء الدور الاستعماري الذي تلعبه اسرائيل في الشرق الأوسط ، كفيل بانهاء التناقض بين اسرائيل والشعوب العربية ، أو الأنظمة التقدمية في العالم العربي ••

- والتسليم بما سبق يقودنا الى واجبنا في انجاز عملية التحرر هذه ، تحرر الشعب الاسرائيلي من سيطرة الطبقة الحاكمة •• أو على الأقل العمل على تهيئة الجو الذي يكافح فيه الشعب الاسرائيلي للتحرر من

سيطرة الفئة العميلة الاستغلالية الحاكمة ..

— بموجب هذا المنطق فان الذي يعرقل تحرر الشعب الاسرائيلي ، ويدعم الوحدة الداخلية ، أي يدعم سيطـرة الطبقة العميلة العـدوانية هو الاحساس بالخطر الذي يعيش فيه سكان اسرائيل . وهو الاحساس الذي يخلقه التهديد العربي او الحصار العربي .. أو الاصرار العربي على استرداد أرض فلسطين .. والقاء اليهود في البحر .. أي انه من واجبنا ان نكف عن هذا التهديد ، ان اردنا لشعب اسرائيل ان يتحرر من سيطرة الاستعمار الامريكي ، ولكي تصبح اسرائيل دولة تقدمية ، تقف بجانب « شقيقاتها » الـدول العربية التقـدمية ضد الرجعيات العربية .

وليس هذا من باب تحميل فكر الآخرين ما لا يتحمل (١) .. فعلى لسان سارتر ، كتبوا ، يحملوننا نحن العرب مسئولية اتجاه أسرائيل الى الغرب » ..

« انها حين وجدت كدولة تمتعت بعون القوى الغربية .. هذا فضلا عن رفض العرب لأي تعامل معها .. بهذا كلـه أصبحت اسرائيل اليوم

(١) كتب فيليب جلاب « سلسلة مقالات في آخر ساعة يبرىء فيها اليهودية من الصهيونية ، ويبرىء الصهيونية من التآمر على العالم .. بل ومن السيطرة على امريكا .. « والدليل على صحة ما نقول انه ليس كـل اليهود صهيونيين ، وليس كل المسيحيين أو المسلمين في العالم أعداء للصهيونية .. (يعني فتشوا عن صلة اخرى تربط الشعوب ببعضها تربط اليهودي والمسيحي والمسلم .. غير اليهودية والمسيحية والاسلام ، وبالطبع ليس كل العرب ضد الصهيونية ولا كل اليهود ضد العرب .. وبالتالي فمن الممكن ان يتحد بعض اليهود وبعض العرب ضد بعض اليهود وبعض العرب) ويكمل كاتب آخر ساعة : « فمثلا مكسيم رودنسون المستشرق (اليهودي) الفرنسي الكبير ،وكيف قاد الحملة ضد الصهيونية وضد اسرائيل في فرنسا قبل واثناء العدوان الاخير (آخر ساعة ٣٠/٨/ ١٩٦٧) والحقيقة المذهلة ان رودنسون لا يعتبر نفسه يهوديا ! ولكنهم يصرون على ذلك لتبرئة ساحة اليهود .. مع انه لا يقول كل ما يجب أن يقال ..

موضوعيا الى جانب الاستعمار •• هذا واقع تاريخي تطور من تلقاء ذاته • وهنا أختلف معك في أن هذا كان منذ البداية ثمرة تواطؤ مباشر مقصود من جانب الاسرائيليين ، وفي تقديري انه ربما كان من الممكن ان تسير الأمور في غير هذا الاتجاه عام ١٩٤٨ ولكن ما حدث غير ذلك » ••

اذن هجوم العرب على اسرائيل هو الذي دفعها الى احضان الغرب ••

حتى تواطؤ اسرائيل مع الاستعمار له ما يبرره عند سارتر •• وينشر هذا التبرير حتى بدون رد ولو من باب الحبكة المسرحية ••

يقول الكاتب على لسان سارتر : « يجب أن نلاحظ أولا أن اسرائيل لا تستطيع قط أن تقضي على حقيقة وجود مائة مليون عربي • ولا أظن أن اسرائيل في ذاتها قادرة أو تسعى وحدها لتحطيم العرب •• ومن هنا فهي تتسلح بصورة استثنائية ، وتقيم سياسة تنهض على القوة العسكرية ، وقد زادت هذه السياسة تفاقما بقدر اعتمادها على عدد محدود من السكان (ربما يخفف منها زيادة السكان) •• ومن هذه الزاوية يمكن اعتبار اسرائيل في حالة تأهب عسكري دائم وسط العرب » •• وفي رأيي الشخصي هو أن الأمور تفضي الى ان اسرائيل في كل مرة تطلق عدوانيتها لأسباب تتعلق بكيانها ووجودها •• ولكنها تخدم موضوعيا المخطط الاستعماري » ••

« ان هذا الدور ليس في مصلحة الاسرائيليين •• ان مصلحة الاسرائيليين عكس ذلك •• وان دولة تتكون من عنصريين ساميين ، عرب فلسطين واليهود لن يكون لها عندئذ طابع استعماري غربي او عنصري » (١) •

وجنودنا ما زالوا يقطعون رمال سيناء تحت الشمس الحارقة وبغير قطرة ماء •• وأتت بعضهم الجرأة للحديث عن مصالح اسرائيل ودولة موحدة من العرب واليهود ونشروه في كبرى الصحف العربية !••

ومكسيم رودنسون يقول على صفحات « الطليعة » •

« فالحل الوحيد هو تجريد اسرائيل من الصهيونية ، فهذا الاحتمال

---

(١) الاهرام الصادرة في القاهرة بتاريخ ١٩٦٧/٧/٣ •

لا ينبغي النظر اليه على انه مستبعد تماما •• بشرط توافر قسط من الزمن طويل نسبيا ، وبشرط انزواء التهديدات التي تدعم الوحدة الداخلية وتقوي الأيدلوجية الصهيونية داخل اسرائيل » •

ثم يعود فيكرر على صفحات المجلة العربية الـدعوة لوقف سياسة المواجهة ، سياسة الدفاع عن النفس التي يمارسها العرب فيقول : « فالمهاجرون اليهود الذين وفدوا من اوروبا لا يشكلون اليوم الأكثرية في اسرائيل •• والجيل الجديد الذي ولد هناك ، وكذلك يهود البلدان الشرقية والذين يتحدثون باللغة العربية ، هم الذين يشكلون هذه الأغلبية •• فاذا انزوت التهديدات فمن المتصور حدوث هذا التحول داخل اسرائيل ، أي الى دولة يغلب عليها الطابع الشرقي •• وهو الأمر الذي يخشاه قادة اسرائيل بقوة » (١)

ولطفي الخولي قالها بصراحة لم تقل في صحيفة علنية عربية منذ ١٩٤٨•• قال « اننا يجب ان نميز بدقة بين اليهوديين الصهيونية والنظام الاسرائيلي الذي يشكل اداة استعمارية في بلادنا ولا يجب ان يقف التمييز عند خارج النظام الاسرائيلي فحسب ، بل يجب ان يمتد الى داخله » •

ان عداءنا ليس موجها في قليل أو كثير الى المليونين ونصف المليون يهودي عامة والى العمال والفلاحين (٢) منهم خاصة المستغلين والمستعبدين داخل النظام الاسرائيلي وانما هو ضد النظام الاسرائيلي كواقع عنصري

---

(١) الطليعة ٦٧/٨/١ ونشر ايضا لا بدون تعليق فحسب بل بمدح وتقريظ من صحيفة « القوميين العرب » في بيروت مجلة « الحرية » . وبموجب هذا المنطق يعتبر عدوان ٥ يونيو عملا تقدميا لانه على الاقل ازال الخوف من التهديدات التي تبالغ فيها الطبقة الحاكمة في اسرائيل ..

(٢) لماذا نسى السيد لطفي الخولي بقية تحالف قوى الشعب .. الرأسمالية الوطنية والمثقفين والجنود .. ام هو يرى اسرائيـل في مرحلـة الثورة البروليتارية .. لم يقل ؟!

استعماري يخدم مصالح الامبريالية ويعمق بذور المعاداة للسامية (١) في المنطقة ويستغل وجـود جماهير اليهود جنبا الى جنب مـع العرب من المسلمين والمسيحيين » (٢) ٠

هذا هو المنطق الذي يروج له الشيوعيون في بلادنا الآن ٠٠ انهم يمهدون للاعتراف باسرائيل وانهاء حالة الحرب معها ٠٠ لأن حالة الحرب هذه هي التي تخلق التهديد الذي يحقق الوحدة الوطنية داخل اسرائيل ٠٠ ويمكن الطبقة الحاكمة من فرض سيطرتها العسكرية على المجتمع واخفاء المتناقضات والارتباط بالاستعمار الامريكي ٠٠ وعرقلـة تحول المجتمع الاسرائيلي الى مجتمع شرقي ، يتعايش ويندمج مع الشعوب العربية ٠٠ فهم لا يعادون الوجود الاسرائيلي ، ولا المجتمـع الاسرائيلي ٠٠ ولا الدولة الاسرائيلية ٠٠ بل نظام الحكم القائم في اسرائيل ويريدون تحرير شعب اسرائيل منه (٣) ٠

وهذا المنطق بدأ في بلادنا مع فجر الحركة الشيوعية ومن خلال التزواج المريب بين اليهود والشيوعيين ٠٠ ولا شك ان الحركة الصهيونية وهي تعرف أن معركتها القادمة ستكون مـع العرب ، قد حرصت على السيطرة على الاتجاهات السياسية ٠٠ واذا كانت من خلال ارتباطاتها المالية والاستعمارية قد ضمنت الاطار الذي يمكن ان تتحرك فيه الطبقات الحاكمة فقد واجهتها مشكلة السيطرة على تحركات الطبقات الوطنية ٠٠ ولم يكن من الممكن توفر

---

(١) حتى عداء النظام الاسرائيلي ينبعث من حرصنا على عدم عداء اليهود !!

(٢) الاهرام : ١٩٦٧/٩/٩ ٠

(٣) اليس هذا تدخلا في الشئون الداخلية لاسرائيل ؟!٠٠ ولو ان المزاح في قضايا المصير ثقيل !

« ايللي كوهينات » (١) بأعداد كافية في جميع الحركات .. لذلك لجأت الحركة الصهيونية الى انشاء منظمات تحت ستار الشيوعية .. أعدتها للحظة الحاسمة ، وهي لحظة قيام اسرائيل ، وكلهم أيدوا قيام اسرائيل وتحملوا في سبيل ذلك اضطهادا هائلا (٢) .

---

(١) « ايللي كوهين » يهودي مصري ، سافر الى امريكا اللاتينية ، ومن هناك أدعى انه مسلم ومن حزب البعث وعاد الى سوريا .. ومن خلال الكلام العقائدي والجنس والمال ومساعدات الكوهينات الآخرين .. استطاع أن يصل الى منصب قيادي في حزب البعث وحضر جميع الاجتماعات القيادية والعسكرية وزار ورسم جميع المناطق العسكرية وكان مرشحا للوزارة . وقبض عليه بالصدفة المحضة .. وأعدم بسرعة مريبة وربما قبل ان يفشي باسماء « الكوهينات » الآخرين .. ولا بد أن نفتش دائما كلما اشتدت غرابة السلوك .. فربما يكون كوهين آخر مختف !.. (عرضت اسرائيل استبدال جثته بخمسمائة اسير سوري لكي يدفن طبقا للشريعة اليهودية بعد أن غرر بالحكم الذي يطبع مقالات ضد الله) ..

(٢) كانت « حدتو » الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني يراسها « هنري كوريل » يهودي و « ديمقراطية شعبية » يرأسها ريمون دويك ويوسف درويش (يهوديان) « واسكرا » يرأسها « ايللي شوارتز » (يهودي) والمنظمة الشيوعية المصرية ترأسها « اوديت » وسلامو زوجها (يهوديان) وهذه التنظيمات الشيوعية الرئيسية في مصر قبيل الحرب الفلسطينية وهي التي اندمجت وانقسمت بعد ذلك حتى وصلت الى ثلاثين منظمة .. لم تخرج ابدا عن سيطرة اليهود ..

وكان سكرتير الحزب الشيوعي العراقي في عام ١٩٤٧ هو « شلومو دلال » واللجنة المركزية الاولى للحزب الشيوعي السوري ــ اللبناني ، كان السكرتير العام فيها هو « جاكوب تيبر » يهودي جاء من فلسطين ليترأس الحزب !.. وبعد انتخاب القيادة الجديــدة برئاسة بكداش ارسلت فرج الله الحلو الى تل ابيب لتنسيق العمــل ، واستقدمت اليهودي لينجمان لينفسكي كمستشار (صفحات مجهولة محمد الزرقا ــ الياس مرقص) وخرجت جريدة « القاعدة » لسان حال الحزب الشيوعي العراقي في ١٩٤٨ تقول « ناضلوا في سبيل انهاء حالة الحرب واعلان تأليف الدولة العربية المستقلة الديمقراطية في القسم العربي من فلسطين»

واصدر الشيوعيون العراقيون كتابا سموه « أضواء على القضية الفلسطينيــة ، ختامه : « فليحى التعاون والتحالــف بين الوطنيــين والديمقراطيين العرب واليهود لاحباط خطط الاستعمار والرجعية ، ولتحى الصداقة العربية ــ اليهودية » .. =

وعندما مرت مقالات « الخواجات » دون احتجاج أو مظاهرة .. تشجعوا .. فكتب (١) اعلان صريح ، يؤكد أنهم لا يعادون المليونين ونصف المليون يهودي سكان اسرائيل ، وبالذات العمال والفلاحين منهم ..

وقيل في « روز اليوسف » (٢) : « الذين يحملون السلاح لتحرير أرضهم ، لا بد أن يدركوا أن خطر اسرائيل يكمن في أنها قاعدة امبريالية عدوانية .. ولا يكمن في أن سكانها من اليهود » .

كذبت والله ! لو أصبحت اسرائيل جمهورية ديمقراطية شعبية ، لما فتر عداؤنا لها ، وكراهيتنا لها ، واصرارنا على عروبة أرضنا التي تحتلها ، ولسنا نبغض اسرائيل أساسا الا بسبب هؤلاء السكان اليهود ، لا لأنهم يهود ، بل لأن هؤلاء اليهود احتلوا أرضنا ، ومزقوا وحدتها ، وطردوا شعبنا ، ولهم في بلادنا مطامع لا حد لها .. ولو كان هؤلاء انجليزا أو ألمانا أو يأجوج ومأجوج ــ لكان خطر اسرائيل يكمن في أن سكانها من يأجوج ومأجوج .. وليس أبدا لمجرد موقفها من الصراع العالمي .. فأثيوبيا قاعدة عدوانية امبريالية ، وكذا فرموزا .. ولكن شتان بين خطر وخطر .

وتتحدث « روز اليوسف » عن تحرير اسرائيل .. أي : تحرير شعب اسرائيل من النفوذ الامبريالي ، كي تصبح دولة تقدميـــة ، وتحضر ندوة التقدميين المقترحة ! فتقول : « ان العرب يدركون أبعاد النفوذ الامبريالي

= وفي عام ١٩٥٣ « ان الشعب العراقي يرفض باباء ان يحارب الشعب الاسرائيلي الشقيق » ..

« لا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود بل للبورجوازية العربية العفنة » ..

(ولأن الاهرام تصدر علنا .. فان جوهر فكرة القاعدة .. يقال هكذا : فلا مصلحـــة في الحـــرب للكادحين العرب واليهود بـــل للبورجوازيـــة الاسرائيلية .. أليس كذلك ؟) ولأن كتاب عبد المعبود الجبيلي كان علنيا في ١٩٤٧ فقد دعا « لجبهة متحدة مع اليهود ضد الاستغلال الصهيوني والاستعمار الاجنبي » .

(١) لطفي الخولي .

(٢) احمد حمروش : روز اليوسف ٢٣/١٠/١٩٦٧ .

في اسرائيل (وليس لاسرائيل) ، ويعرفون الخطر الذي يهدد الأمة العربية من الاستثمارات الامريكية » (قبل ٤٨ ساعة من ضرب الزيتية ، حيث الاستثمارات المصرية) .

وتتحدث عن القوى التي يجب أن يتحالف معها الثوار الفلسطينيون ، فتقول : « هناك مثلا في اسرائيل عناصر تدين العدوان الاسرائيلي .. تتمثل أساسا في السكان العرب وحركة الأرض والحزب الشيوعي الذي أعلن موقفه ضد العدوان صراحة .. وتعرض سكرتيره العام للاغتيال منذ أيام .

« لا بد من عقد صلات سياسية وثيقة مع هذه العناصر التي ترفض القهر على أساس عنصري أو ديني أو طبقي » .

أرأيتم يا عرب ما هو الاسم الجديد لشعب فلسطين ؟

« السكان العرب » !

أرأيتم ما الذي يدينه هؤلاء ؟

« العدوان الاسرائيلي » ، وليس الوجود الاسرائيلي ..

لا .. فهم مواطنون اسرائيليون مخلصون .. كما تشهد ــ أو تفترى ــ عليهم « روز اليوسف » .. وهم في نفس المستوى مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي .. ومطلوب من منظمة الفتح أن توثق صلاتها بالجميع على قدم سواء .. « السكان العرب » « والحزب الشيوعي الاسرائيلي » .. يا ترى هل يوافق الحزب الشيوعي الاسرائيلي على قتل زعماء اسرائيل ، ونسف مؤسسات ومنشآت اسرائيل ، أم يدعون العرب للكفاح داخل الكيان الاسرائيلي لجعله ديمقراطيا تحرريا ؟!

ما جزاء من يدعو الى التعاون مع الأعداء في ظل الحرب ؟

يا ترى ، أما زال قانون العقوبات ساريا ؟

وتطالب « روز اليوسف » منظمات الفدائيين « بأن تضع ميثاقا يجتمع حوله المناضلون (منظمة الفتح ، مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي) .. ميثاق يرسم صورة كاملة لمستقبل اسرائيل وفلسطين معا .. »

قولوا يا عرب •• هل « لاسرائيل وفلسطين » مستقبل معا ؟

انهم يضعون اسرائيل قبل فلسطين ، ويقلقهم مستقبلها ، ويطالبون الحركات الفدائية ـ وهي تخوض معارك أقسى من آن توصف بأنها !نتحارية ـ يطالبونهم بالاهتمام بمستقبل اسرائيل !!

يهودي وصهيوني

وعندما نرد على هذا المنطق ، فنحن لا نهدف اطلاقا الى اقناع هذه الفئة .. لأننا كما قلنا ، نعرف أن لديها أسبابها الخاصة التي تمنعها من الاقتناع (١) ، ونعرف أن بعضها يؤمن بالتعايش والتعاون مع اسرائيل ..

ولا نهدف أساسا لكسب ما يسمى بالرأى العام العالمي فهذا الرأى الأصم الأعمى .. لا يؤمن ولا يقتنع الا بالقوة .. انما نريد أن نقضي على ما قد يتسرب من سموم هذا الغزو الفكري لبعض شبابنا .. فان هذا الغزو يفوق في خطورته الغزو العسكري ولو احتلت كل بلادنا .. وبقى العقل العربي سليما رافضا للاحتلال مصرا على المقاومة ، مستعدا للموت والقتال حتى النصر .. فلا خوف على العرب ولا على بلاد العرب .. ولكن الهزيمة العسكرية الجزئية يمكن ان تكون بداية النهاية للجنس العربي ، ولو ان العدوان الصهيوني انتصر داخل رأس العربي .. لو انه كسب معركته داخل الفكر العربي .. لو ان العربي تشكك لحظة في عدالة موقفه وحتمية انتصاره .. فقد كسبت اسرائيل الحرب ..

ومن هنا كان اهتمامنا بالرد .. وردنا يتلخص في :

« أننا نحن العرب .. المسلمون بالذات لا نعرف التعصب الديني .. لأن موسى عليه السلام نبي في ديننا .. ورغم كل ما فعله بنو اسرائيل في مصر .. فاننا مطالبون بأمر ديننا ان نلعن فرعون الوثني ، ونسلم على موسى نبي الله الذي انزلت عليه التوراة وعلى كل انبياء بني اسرائيل .. مطالبين بلعن بني اسرائيل الذين كذبوا فريقا منهم ، وقتلوا

---

(١) مدير تحرير مجلة « الطليعة » زوج بنت احد زعماء الحركة الصهيونية .. يهودي رأسمالي صودرت امواله في مصر !!..

فريقا آخرا من هؤلاء الأنبياء ..

وبالرغم من أن ديننا نبهنا الى التزييف الذي أحدثه اليهود بالتوراة ، وهي معجزة الهية تثبت الدلائل المتكشفة كل يوم صدقها .. الا أن ديننا قد نهانا عن اضطهاد اليهود لمجرد أنهم يهود ، وأذن لنا بقتالهم والضرب على أيديهم ان حاولوا الغدر بنا أو استعدوا لقتالنا أو اعتدوا علينا ..

ثم كلفنا بقتال من يضطهدهم لأنهم يهود .. وأفتى فقهاء الاسلام ان البلد الذي يضطهد بها ذمى (أي يهودي) تصبح ديار حرب .. أي يتحتم على المسلمين أن يقاتلوها حتى تكف عن اضطهاد اليهود .. أما عندما يضطهدنا نحن اليهود ، ويطردوننا من بلادنا ، ويعيدون بعضنا باستمارات مطبوعة في اسرائيل .. فديننا يعدنا احدى الحسنيين : النصر او الشهادة .. ويأمرنا ان نضرب على أيديهم حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فالعزة دائما للمسلمين .. لأنه بعزتهم تكون العزة للقيم والمثل الانسانية ..

وطالما كانت حضارة المسلمين هي الغالبة والمزدهرة ، لم يقع اضطهاد ديني واحد وليس في تاريخنا كله حركة شعارها « اقتلوا اليهود » ..

ان اضطهاد اليهود وتشريدهم قد وقع قبل ظهور الاسلام .. ثم كانت فترة اندماجهم الوحيدة في الحضارة السائدة ، هي فترة اندماجهم في الحضارة الاسلامية ، ثم بدأت أول حركة للاضطهاد الجماعي من جديد في اوروبا ومع بداية الحروب الصليبية .. فالابادة الشاملة بنزول الهلال من سماء الأندلس .. ومع أفول نجم الحضارة الاسلامية وتراجعها الى ظلام التخلف ومؤخرة العالم .. وبزوغ نجم الحضارة الغربية بدأت المشكلة اليهودية ، وظهر بوضوح انفصال اليهودي عن المجتمعات التي يعيش فيها .

واليهود أنفسهم يعترفون بذلك .. جاء في كتاب « في الفكر اليهودي »:

« في طبريا المدينة الصغيرة ، الممتدة على شاطىء البحر الميت ، جلس العازار الشيخ اليهودي بين أفراد أسرته ، استعدادا للاحتفال بعيد الفصح . كان ذلك في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان سنة ١٠٨٩ ..

اسرعوا جميعا الى النافذة ، ولا غرابة ، فقد كانت الاضطرابات سائدة في البلاد وبعد ان تحققوا من عدم وجود انسان في الحديقة ، عاد كل الى مكانه ، حول المائدة استطرد العازار قائلا : « تكلم يا يعقوب » •

استهل يعقوب حديثه قائلا : « انني قادم من انطاكية ، حيث حاصر الصليبيون كربغا ، امير الموصل • لقد انتشرت المجاعة بينهم ، فكادت تبيدهم، وبعد أن كانوا ثلاثمائة الف ، لم يبق منهم سوى عشرين الفا » ••

استفسر الوالد : « ترى هل يريدون شيئا من هنا » •• أجاب يعقوب : اثناء مجيئي في الطريق كان المارة يتحدثون عن موقعة جديدة ، انتصر فيها الصليبيون ، ويقال انهم سيزحفون على القدس الشريفة مباشرة « وجم الوالد وقال : « عسى الا يحضروا » •

فأجاب يعقوب « لا أظنهم فاعلين ، فهم يجهلون الطريق ، اللهم الا اذا كان هناك جواسيس خونة » ••

استطرد الوالد قائلا : « ان المسيحيين في ضلال ومذهبهم هراء • ويعتقدون ان المسيح قد جاء في حين ان العالم كالجحيم ، والانسان كالشيطان الرجيم والحالة تسير من سيء الى أسوأ » ••

وفي تلك اللحظة ، فتح الباب فجأة فظهر على العتبة ، رجل قصير القامة ، نحيف كالهيكل العظمي ، براق العينين هو بطرس الناسك • كانت ملابسه عبارة عن اسمال ممزقة وكان يحمل صليبا بين يديه ، وقد زين كتفه بشارة حمراء على شكل صليب •

سألهم : هل أنتم مسيحيون ؟••

أجاب العازار : « كلا ! نحن من بني اسرائيل » فانتهرهم بطرس قائلا : « اخرجوا معي ! هيا الى البحيرة لأعمدكم • والا فستموتون أشنع ميتة ! » ورفض العازار ••

وخرج الناسك الى رجاله ، بينما كان أفراد عائلة العازار يغلقون نوافذ المنزل وأبوابه من الداخل • وعلى حين غرة سمعوا صوتا يقول : « اضرموا

النار في المنزل » قال العازار : « لنشكر الله ولنمت » فأمن الجميع على كلامه، بلا تردد ، اما الوالدة فقد حملت ابنها الصغير بين ذراعيها عسى ان تقيه من النيران ، التي أخذت تلتهم الجدرنا » .

وكتــاب «في الفكر اليهودي » هذا .. جمعه حاخام الامبراطورية البريطانية وترجمه الى العربية ونشره في الثلاثينيات رئيس قلم الترجمة بوزارة الزراعة المصرية دكتور الفريد يلوز ..

وقدمه حاخام مصر وأثنى عليه .. وطبع في دار « مجلتي » للطبع والنشر وهو اذا كــان يوضح كيف ان اليهود قد استظلوا بحماية السلطــة الاسلامية واضطهدوا من الغزو الصليبي . فهو يوضح ايضا ان اليهود كانوا يطبعون كتبا يسبون فيها المسيحيين ، ويشيدون ببطولتهم .. وتطبع في مصر بغير احتجاج !..

ومن نفس الكتاب :

« في سنة ١١٤٦ ، أصيبت الطوائف الاسرائيلية بحملات مفزعة ، فقد حدث أن الراهب رودولف الذي اضطهد اسرائيل اضطهادا معيبا ، هاجم شعب الله المختار ، وأراد ، مثل هامان في الأزمنة الماضية . اهلاك وقتل وابادة جميع اليهود . قام هذا الراهب برحلة في كل البلاد الجرمانية مهديا وسام الصليبيين الى جميع الذين يتطوعون في الجيش الزاحف الى اورشليم لمحاربة المسلمين . وكان حيثما نزل ، يثير شعور الجماهير قائلا : « عليكم ان توجهوا انتقامكم الالهي أولا ، نحو أعداء الهنا الموجودين أمامنا ، ثم لنسر الى الأمام بعد ذلك « عندما سمع اليهود هذه الأقوال ، تزعزعت شجاعتهم ، لعلمهم بعنف الطاغية ونيته المبيتة على أبادتهم . فرفعوا أصواتهم الى الله قائلين : « أواه يا رب يا الهنا ! هوذا خمسون عاما انقضت أو كادت ، منذ أن هرقنا دماءنا كالماء لتقديس اسمك المبارك العظيم ، الموقر ، يوم المذبحة الكبرى فكأننا نحتفل الآن بيوبيله » .. ثم دفع اليهود رشوة الى راهب آخر فتوسط لهم » ..

« يرجع اضطهاد العنصر اليهودي الى فجر العهد الذي تسلمت فيه

المسيحية ادارة الشئون المدنية • اذ ظلت كراهية اليهود لعدة قرون رمزا من رموز الصلاح والتقوى عند المسيحيين ••

لقد هاجمتهم جميع الأمم المسيحية ، فأشبعتهم شتما وامتهانا ، واحتقارا وسلبا ونهبا ، ولقد طردهم من انجلترا ادوارد الأول • ومن فرنسا شارل السادس فلم يجدوا ملجأ الا الأندلس ، حيث أحاطهم أمراء الاسلام بعطف خاص (والمرجع اليهودي المتعصب يرجع هذا العطف الى عقيدة اليهود ، لا الى عقيدة المسلمين ، ويهاجم عقيدة الكاثوليك) ••

ثم يقول في تعصب وادعاء فارغ « وكان للعلوم اليهودية والعبقرية الاسرائيلية القدح المعلى في اشراق تلك المدنية التي بزغت في طليطلة وقرطبة ، واجتلت نورها العقائد باوروبا (لم يكن لليهود من علم وقتها الا التلمود ، وثابت ان الديانة اليهودية ذاتها تأثرت بتعاليم الاسلام) ولكن في ساعة نحس وشؤم اكتسح الصليب الهلال واحتل مكانه على قمة الحمراء ، فهدم هذا الملاذ الوحيد ، وخفت مصباح التسامح الديني في اسبانيا ، اذ تقرر اخراج اليهود منها ••

صدر هذا الأمر بفعل نور كمادا • لكن السبب غير المباشر راجع الى التعصب ، الذي أخذ يشتد يوما بعد يوم ، حتى أصبحت حياة العنصرين معا ، من الأمور المستحيلة ، ففي سنة ١٣٩٠ ، أي نحو مائة سنة قبل فتح غرناطة ، القى واعظ معروف يدعى هرنا ندومارتينيز خطبة مثيرة هـاج لسماعها الكاثوليك باشبيلية ، فهاجموا حي اليهود ، وقتلوا منهم ٤٠٠٠ نفس ، كان مارتينيز يشرف بنفسه على المذبحة •• وفي العام التالي وقعت حوادث مماثلة في بلنسية ، وقرطبة ، والبرج ، وطليطلة ، وبرشلونه ، جلها بتحريض الواعظ ذاته • واخيرا وقعت حرب الأندلس ، التي كانت تعتبر حربا صليبية ، وأخذت تسير في طريق النهاية ، فأذكت حمية الدين عند المسيحيين الاسبان مما أدى الى انشاء محاكم التفتيش • ذبح عدد من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ••

ومما تجدر ملاحظته أن التاريخ قلما ذكر تدابير أدت الى مثل هذه

النكبات الفادحة .. ففي أقل من ثلاثة شهور أرغم جميع اليهود الذين لم يعتنقوا المسيحية ، على مغادرة البلاد الأسبانية والا حكم عليهم بالاعدام ..

فالفترة الوحيدة التي نجا فيها اليهود من الاضطهاد منذ هدم الهيكل الى الثورة الفرنسية هي فترة ازدهار الحضارة العربية ، وبحماية السيوف الاسلامية ، فلا تحدثونا عن ضرورة التسامح فنحن الذين علمناه للعالم ..

فليكف الصاخبون عن ازعاجنا ، بتحذيرنا من عداوة السامية ، فنحن ساميون ونحن مسلمون .. ديننا يرفض أن نكره الناس على الايمان بالله .. ديننا يرفض أن نجبر الناس على الدخول في أمتنا ، لأن ارادة الله هي التي اقتضت ألا يكون الناس أمة واحدة .. ديننا يرفض أن نضطهد انسانا بسبب لونه أو جنسه أو دينه ، بل ربما كانت نقطة الضعف في حضارتنا هي تسامحها الديني .. فان هذا التسامح بما فيه من نبل ، يحتم علينا أن نكون « أولى بأس شديد » لأن الفضيلة التي بلا سند من القوة يحميها تنقلب الى ضعف يودي بصاحبها .. والقيم كل متكامل .. لا تستطيع أن تمارس جانبا منها دون الجوانب الأخرى .. خاصة في عالم ما زالت تسوده روح صليبية شرسة ...

وليست كراهية اليهودي ، ولا كراهية بعض اليهود .. ولا حتى كراهية كل اليهود تعني عداء السامية .. فعداء السامية يعني كراهية كل اليهود .. وكل الوقت ، وهي وان كانت موقفا سياسيا يتخذ في مرحلة معينة ، الا أنه يتطلب تكوينا دينيا وحضاريا ونفسيا ، وتراثا عميقا من الكراهية لدى الجماهير حتى يمكن للحركة السياسية أن تمارسه . وليس مجرد مصادفة انه لم يمكن قط خلق حركة عامة معادية للسامية في الشرق ، بينما أمكن قيام هذه الحركة في فرنسا حتى القرن العشرين (دريفوس . ثم خلال الحكم النازي) وفي روسيا القيصرية حتى مطلع القرن العشرين .. بل وفي المانيا خلال العقد الثالث والرابع من القرن العشرين .. حيث كانت الحضارة الغربية قد وصلت الى قمة ازدهارها ، وحيث شهدت أوروبا الغربية تطبيق الديمقراطية

وحرية العقيدة في أكمل صورها ..

واذا كانت هذه الموجات من العنصرية المعادية لليهودية ، قد حركت واشتثيرت لأسباب سياسية ، فان قدرة المهيمنين على تحريكها لخدمة أهدافهم، تفترض وجود استعداد للاستثارة عند الجماهير ، استعداد متوارث عبر أجيال عديدة ، وخلال عقيدة موروثة قابلة دائما للتحرك ضد اليهود ..

وبالنسبة لنا نحن العرب فان هذه العوامل غير متوافرة ، وما زلنا نحاول أن نتعلم كراهية اليهود على ضوء النابالم والابادة الشاملة والمذلة التي لم يتعرض لها شعب منذ ابادة الهنود الحمر ..

ان الخلط بين اليهودي والصهيوني في الكتابات العربية لا تأتي شبهته في الغالب الا من خلال الرد على الذين يثيرون هذا الموضوع ويلحون من غير مبرر على ضرورة التفرقة .. فلم تشهد بلادنا مذابح لليهود .. ولم تناد كتاباتنا بقتل اليهود .. فكأنهم بكتاباتهم يتسببون في عكس ما يزعمون انهم يهدفون اليه (١) .

---

(١) هل تملك اسرائيل وثيقة ضدنا تستشهد بها على اننا عنصريون نضطهد يهود العالم اجمع ، ونخلط بين اليهودية والصهيونية ، هل تملك وثيقة أقوى من مقال في « الطليعة » يعلن : « ان بعض اصحاب المسئولية في الاجهزة التنفيذية أو الشعبية يخلطون بين الصهيونية وبين الديانة اليهودية . » وان هذا « الخلط متعمدا » وان الامر وصل الى حد « لا يمكن السكوت عليه » وان هؤلاء المسئولين « في الاجهزة التنفيذية او الشعبية يلجأون الى ادلة وهمية وعنصرية ضد اليهود كيهود وليس ضد اليهود كصهيونيين » (مقال فيليب جلاب « الطليعة » اغسطس ١٩٦٧) .

هل تملك اسرائيل دليلا اقوى من هذا تستخدم اجهزة دعايتها ، شهادة مجلة مصرية طبعت في القاهرة . لا بد ان الأمر قد تفاقم الى حد ان تسمح الرقابة بنشر هذه الاستغاثة !.. اليس كذلك ؟!..

وهل يفيدنا ان يقال ان الشيوعيين يعارضون ذلك ؟.. ومن قال ان الشيوعيين يوجهون سياسة مصر ؟ ان القضية توضع أمام الراي العام العالمي ــ وللأسف باقلام مصرية ــ على هذا النحو : بعض المسئولين في الأجهزة التنفيذية والشعبية في مصر يمارسون سياسة عنصرية عن عمد ولكن بعض الشيوعيين يعارضون ذلك .. هل نكسب عالميا بذلك .. اسألوا الذين كتبوا والذين نشروا .. !

فما الهدف الذي ترمي اليه الدعوات الملحة لضرورة التميز •• اذ لا بد لكل دعوة من هدف ، فالمبادىء لا تطلق في الفراغ ، بل تلقى مسئوليات على المؤمنين بها •• ولا بد أن هؤلاء « الشجعـان (١) » الذين استطاعوا ان يجابهوا شعوبهم العربية ، وقتلاهم لم يدفنوا بعد ، وجرحاهم لم يشفوا من النابالـم اليهودي ، جابهوا شعوبهـم محذرين من التعصب ، منبهين لخطأ « الخلط بين اليهود والصهيونية » (٢) •

لا بد أنهم يطالبون الجماهير بعد الاقتناع بهذه الحقيقة « العلمية » بموقف عملي •• فلا خير في علم بلا عمل !••

ولا يبدو أن الموقف المطلوب ، منصب على اجراء داخلي ، لأن اليهود في المشرق العربي ، وبالذات في مصر لا يشكلون حتى أقلية يخشى من اضطهادها ، هم مجرد أفراد لا يكاد يحس بهم •• ومن المؤكد أنهم لا يعانون أي اضطهاد (٣) ••

---

(١) حقيقة لا شجاعة في موقفهم .. بل خصومهم هم الذين يتحلون بقسط كبير من الشجاعة للدفاع عن رأيهم .. ولعل ذلك واضح .. بل لنزيد الامر وضوحا .. كتب « فيليب » في مجلة « الطليعة » بالقاهرة يطالب بمحاسبة وتسريح بعض اصحاب المسئولية في الأجهزة الشعبية لأنهم يخلطون بين اليهود والصهيونية ويلجأون الى أدلة وهمية وعنصرية ضد اليهود كيهود كما جاء في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون « الطليعة » أيلول ١٩٦٧ ولأننا في مرحلة تحتم ان نضع النقط فوق الحروف حتى يعرف كل مواقع اقدامه .. نقول ان المسئول الوحيد في الاجهزة الشعبية الذي طبع بروتوكولات صهيون هو السيد « شوقي عبد الناصر » !

فعندما يطالب فيليب بمحاسبة وفصل شوقي عبد الناصر لأن شوقي عبد الناصر يهاجم اليهود ! وينشر هذا في صحف القاهرة .. فلا بد أن قوى رهيبة تلقي بثقلها في هذه القضية .. ويكفي هذا ..

(٢) عنوان مقال بآخر ساعة ١٩٦٧/٨/٣٠ .

(٣) بدليل وجود عدد منهم في مخادع بعض المتصدين للفكر والتوجيه . أحدهم أعاد طبع كتاب في النصف الثاني من يونيه (حزيران) ١٩٦٧ عن امريكا والشرق الأوسط ، فلم يجد ما يضيفه الى الكتاب الا فصلا عن الحلف الاسلامي !!

وبعضهم يمثل مصر في المؤتمرات الدولية ..

وبعضهم يعمل في دور الصحف ويتقاضى مرتبا اكبر مما يتقاضاه بعض المناضلين ضد اسرائيل ..

ويقال ان الهدف من هذه الكتابات هو دعايتنا في الخارج •• كذب •• ان هذه الكتابات ــ كما قلنا ــ تنبه الى وجود الخلط أكثر مما توضح اننا نميز بين اليهودية والصهيونية •• ان كانت هذه الكتابات تقرأ في الخارج •• أو ان كان الرأى العام العالمي يعادينا حقا ، لأننا نعادي اليهود •• (١)

الهدف الحقيقي من الالحاح الغريب على التفرقة بين اليهودي والصهيوني •• هو التمهيد لصلح مع اليهود غير الصهيونيين « المليونين ونصف المليون يهودي عامة والعمال والفلاحين خاصة المستغلين داخل النظام الاسرائيلي » (٢) ••

والذين بدأوا في زراعة مستعمرات جديدة في الأراضي السورية والأردنية •• وعلى شاطىء البردويل •• يا عارنا !

هذه التفرقة بين اليهودي والصهيوني ، ليست مهمتنا نحن بقدر ما هي مسئولية اليهود ، فان المواقف التي يتخذها اليهود ضد اسرائيل هي التي

---

(١) وحتى لو صح ذلك .. وفرضنا ان الرأى العام يعادينا لأن بعض الذين انتزعوا من وطنهم ونبشت قبور أسلافهم ، وقتل اولادهم أمام عيونهم وبقرت بطون زوجاتهم الحوامل تحت سمعهم وبصرهم .. بعض هؤلاء يعلنون بعض التصريحات العنيفة بين الحين والحين .. حتى لو سلمنا ان هذا هو سر عداء الغرب الصليبي لنا . مع أن هناك في اسرائيل من يطالب بابادة العرب ، من وقف في شوارع نيويورك يغري الامريكيين بالتبرع تحت شعار « ادفع دولاراً تقتل عربيا » باعتبار قتل العربي هدفا يستحق ان يتبرع المرء من أجله ..

وبالرغم من ان هناك في اسرائيل من يطالبون بدولة من النيل الى الفرات ومن يعتبر الانسحاب من القنطرة والقنيطرة خطيئة دينية .. ومع ذلك لا يغضب الرأى العام العالمي الا من الذين يطالبون بعروبة بلادهم التي كانت دائما وابدا عربية ... حتى لو سلمنا بذلك فهل حقا تصدر هذه الصيحات عندنا حرصا على نقاوة الدعاية العربية .. ابدا ففي حوار مع احدهم سألته سؤالا صريحا .. قلت ها نحن وحدنا ولا رأى عام يسمعنا .. هل توافق على استرداد فلسطين كاملة بحدودها ١٩١٧ . وعربية كما كانت دائما .. قال « لا » قلت اذن لا تغلف اراءك المؤيدة لوجود اسرائيل بستار من الحرص على كسب الرأى العالمي والرغبة في خلق انقسام بين اليهود !!

(٢) « لطفي الخولي » الاهرام ..

ستساعد على خلق هذه التفرقة .. لا أن نفتش نحن بمجهر عن شبه موقف ثم تتصايح .. انظروا ها هو يهودي يعادي الصهيونية ، بل يصل الأمر الى حد امتهان الجماهير العربية بنسبة بعض الكتاب الى اليهودية لمجرد اثبات أنهم يعادون سياسة اسرائيل وبالتالي فلا مبرر لعداء اليهود .. وبالتالي فمن الممكن فتح حوار مع اليهود (١) ..

وأين يمكن ان نفتش نحن عن اليهودي غير الصهيوني ما دمنا قد كلفنا بهذه المهمة ونحن نقاتل جيش احتلال اسرائيل فوق أرضنا وداخل مساجدنا!..

هل سمعنا بموقف واحد ليهودي أو يهودية عربية حتى من الذين يعاشرون بعض قادة الحملة ضد التشويه والخلط بين اليهودي والصهيوني ..

لا .. ولا كلمة .. يهود ويهوديات شمال افريقيا اطلقوا النار والقين الماء الساخن على العرب ايام العدوان !..

هل يمكن ان نفتش عن اليهودي غير الصهيوني في مكان أفضل من المعسكر الاشتراكي ؟..

فهناك التربية ضد العنصرية (المفروض) وضد الأديان ، وهناك الايمان بالماركسية وبالتفسير الطبقي للأحداث .. والايمان بأن اخوة الطبقة العاملة فوق الدين والجنس واللون ... الخ .

فهل وجدنا اليهودي غير الصهيوني هناك .. حتى الآن يبدو ذلك واضحا ، ولكننا وجدنا اليهودي الصهيوني .. في بولندا وتشيكوسلوفاكيا ـ

---

(١) كما هو الحال مع مكسيم رودنسون . الذي قال هو شخصيا انه يعتبر يهوديا بالمنطق النازي الذي يحاسب الاحفاد على اعتناق اجدادهم لليهودية .. ورغم ذلك اصرت كل الصحف التقدمية في مصر ولبنان (الحرية) على تقديمه لقرائها باعتباره يهوديا يدافع عن العرب ويدين عدوان اسرائيل .. لمصلحة من يزيف هؤلاء الحقيقة على العرب وينسبون لليهود موقفا زائفا لم يتخذه يهودي بعد . ان لنا ألف تحفظ على دعوة رودنسون نفسه .. غير ان نسبة آراء رودنسون لليهود ، كنسبة اراء هؤلاء الذين نناقشهم للمسلمين .. ولو ان رودنسون أصرح اذ يتبرأ من اليهودية .

كما نشرت الصحف وأذاعه رئيس الحكومة ـ كان اليهود يشربون الأنخاب
•• نخب النصر •• لجيش اسرائيل وهو يلقي النابالم على الشيوخ والنساء
والأطفال •• في العريش وغزة والقدس ونابلس والقنيطرة •• كان الملاحدة ،
الشيوعيون ، اليهود ، في بولندا وتشيكوسلوفاكيا يشربون نخب النصر
وحاخام الجيش الاسرائيلي يصلي في المسجد الأقصى ••

ثم نطالب نحن بالتفرقة بين اليهودي والصهيوني •• وقادة سلاح
الطيران البولندي وجنرالات الجيش البولندي اليهود ، لم يفرقوا ، حتى
اضطرت الحكومة الى فصلهم ••

وتنشب أزمة في بولندا وتشيكوسلوفاكيا بسبب موقف اليهود فيهما ،
وتحذرهم الحكومة هناك بأن ولاء البولندي يجب أن يكون لبولندا ،
والتشيكي لتشيكوسلوفاكيا •• وتعاني معظم الأحزاب الشيوعية في اوروبا
أزمة بسبب موقف أعضائها اليهود الذين اعترضوا على موقف الاتحاد
السوفياتي ازاء اسرائيل !••

وفي الاتحاد السوفياتي ، تناقلت وكالات الأنباء ان أربعة من اليهود
أدانوا العدوان الصهيوني ••!

رغم كل الوسائل التي يملكها النظام السوفيتي في الحصول على
التأييدات ، لم يستطع ان يحصل الا على تأييد أربعة أي واحد من كل مليون
يهودي !

لم نسمع كلمة واحدة من اليهودي ايليا اهرنبورغ قبل وفاته ضد
عدوان اسرائيل •• وكانت ستكون لها قيمتها •• ولنشرت عندنا بالأبر على
آفاق البصر •

والذين دعوا كرافتشنكو لزيارة بلادنـــا ، واحتفلوا به على نسق احتفالهم بسارتر ، بل ولمقاربة احتفال سارتر لماذا لا يكتبون له اليوم يطلبون منه نصف سطر تأييدا لحقهم واستنكارا للعدوان •• وما داموا لم يفعلوا فليسمحوا لنا ان نعرف القراء بضيفهم الذي سهروا له الليل في القاهرة قبيل العدوان بأيام يستمعون لنكاته البذيئة وقصائده في مدح اليهود ••

(في شهر مايو من هذا العام زار القاهرة الشاعــر الروسي الشاب « ايفتشنكو » بعد ان كان في بيروت مع أعضاء الوفد السوفيتي بمؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا الذي عقد في نهاية شهر مارس ، وقد رحبت به الصحافة العربية ، وتحدثت عنه طويلا وتابعت آخباره وخطواته حتى أصبح وكأنه نجم سينمائي ••

وقبل سنة زار هذا الشاعر امريكا ورحبت به صحافتها هناك ، واهتمت به المجلات العالمية مثل « لايف » التي كتبت عنه مقالا في عشر صفحات « ومجلة باري ماتش » التي أصدرت بعد العدوان الاستعماري الأخير على الأمة العربية عددا خاصة عن اسرائيل على غلافه صورة « موشي ديان » هذه المجلة كتبت عن هذا الشاعر من قبل مقالا يقع في خمس عشرة صفحة •• وسر اهتمام صحافة الغرب الاستعمارية بهذا الشاعر هو ان له موقفا يتعاطف به مع اليهود ، ويدافع عنهم في العالم كله ، وفي عام ١٩٦٣ أصدر كتابين بالانجليزية والفرنسية يحتويان على مختارات من شعره وعلى غلاف كل منهما هذه العبارة : انه اجرأ الناطقين باسم الجيل الجديد ، في روسيا ، انه أكثرهم تمردا على القيود ، ويكفي انه احتج في قصيدته الرائعة المعروفة على مذابح اليهود في « كييف » في روسيا • ويكفي انه أحس بعذاب اليهود في التاريخ والعالم ••

وفي نفس العام نشرت له مجلة « لايف » وعدد من المجلات الغربية قصيدة له يدافع فيها عن اليهود ، ويقول فيها أنا لست يهوديا ، غير اني أشعر

بشعور اليهود وبعذابهم ، ولذلك فأنا روسي أصيل •• ويقول أيضا « انني عريق كالشعب اليهودي بل كأنني يهودي تائه في مصر القديمة ، يهودي أماتوني على الصليب ، ولا أزال أتحسس المسامير في قدمي •• » (١) •

مفهوم أن يهتم الصهاينة بشاعر وهب نفسه للدفاع عن اليهود •• ولكن غير مفهوم أن تهتم « دار الهلال » بهذا الشاعر وتحتفي به كالغزاة !•• الا لأن اسرائيل لا تعنيهم ولا تشغل بالهم •• وهم لا يعادون اليهود ••

أين أذن ، نجد اليهودي غير الصهيوني •• فحتى في ظل حكومات تعارض العدوان الاسرائيلي ومن مصلحتها تشجيع مثل هذا التيار •• لم يقم قط مثل هذا التيار اليهودي المعادي للصهيونية أترانا نجده في بلاد يحكمها اليهود الصهيونيون ؟!••

واذا كنا نجد تيارا صهيونيا بين اليهود الشيوعيين في الأحزاب الشيوعية الكبرى أترانا نجد تيارا يهوديا غير صهيوني في الأحزاب الرأسمالية والاحتكارية ؟••

أين نجد اليهودي غير الصهيوني •• قولوا لنا •• سنتذرع بكل صبر ممكن حتى نجده معكم ••

ولكن أليس الأفضل أن نحدد أولا من هو الصهيوني •• حتى نعرف ان كان المليونان ونصف المليون الذين يعيشون في اسرائيل صهيونيين أم لا •• وحتى نحدد موقفنا من الذين أعلنوا جهارا ونهارا أنهم لا يعادون هؤلاء ؟••

---

(١) مجلة « اليقظة » الكويتية مقال : محبوب العبد الله ١٩٦٧/٨/٢١ .

من هو الصهيوني

متى ظهرت الصهيونية •• وعن ماذا تعبر ••؟

في القرن التاسع عشر كانت اوروبا قد أقرت سياسة المساواة السياسية والقانونية بين جميع الرعايا اليهود والمسيحيين داخل أوطانها •• وكان اليهود خلال سنوات النهضة الأوروبية ، قد استطاعوا استثمار الحروب الداخلية والخارجية في تمكين قبضتهم الاقتصادية والسيطرة على الاقتصاد البريطاني والفرنسي والتمتع بنفوذ عظيم في المانيا والولايات المتحدة •• والتغلغل في سائر بلدان اوروبا المندفعة في طريق الرأسمالية والاستعمار ••

وهنا نصل الى نقطة التناقض ، ففي هذا القرن بالذات ، بل وفي ذروة النفوذ اليهودي ، وذروة تمتع اليهود بالمساواة •• بدأت بذور الحركة الصهيونية تنمو •• لأن الحركة الصهيونية هي تجسيد المقاومة اليهودية للاندماج •• فالدين اليهودي يحمل بذور الانعزال والعنصرية •• والتعالي على الجنس البشري •• « شعب الله المختار » و « عميد الشعوب » ولكن هذه الانعزالية ، الاحتفاظ بالانفصال عن العالم ، يحتاج الى مبرر ، الى اقناع عند الفرد اليهودي ، بجعله يدرك كل يوم انه شيء وحده •• والعالم أو الأمم شيء آخر •• متعاديان ، متنافران •• ولم يكن هناك أقوى من الاضطهاد والمذابح حجة لدعاة العنصرية لتغذية احساس الانعزال ، وخلق شخصية اليهودي المنفصل عن العالم ، ودعوة هذا الفرد الى رفض الاندماج •

ومع انتصار البورجوازية في اوروبا وسيطرة العناصر اليهودية على الاقتصاد الجديد ، ونجاحهم في اصدار التشريعات التي تحقق لهم المساواة

الكاملة ، أي فتح الطريق أمامهم لحكم أوروبا •• فوجئوا بانهيار « الجيتو » « حارة اليهود » •• ولو لم تظهر الحركة الصهيونية في تلك الفترة لاختفت المشكلة اليهودية من التاريخ ، على الأقل في غرب اوروبا وامريكا •• باندماج اليهود في شعوب هذه الدول •• وكان هذا الاندماج سيصبح الحل المقترح لمشكلة اليهود في بقية دول العالم ••

ومن هنا تتبين زيف كل الادعاءات والتبريرات التي تحاول ان تصور الحركة الصهيونية كرد فعل لاضطهاد اليهود •• بالعكس انها رد فعل لمحاولة المجتمع الغربي التخلص من ماضيه في اضطهاد اليهود •• انها مقاومة المتعصبين اليهود لحركة الاندماج ••

البارون لونيل دى روتشيلد ، الرجل الذي سرق منا أسهم قناة السويس يقول قبل مولد الحركة الصهيونية بثلاثين سنة « اذا كانت الامتيازات السياسية التي اكتسبناها ستضعف بأي وجه من الوجود ، تعلقنا بشعورنا اليهودي فنكون قد اشتريناها بثمن باهظ ، وهذا بلا شك احباط للأغراض التي قصدها من ساعدونا في سبيل الحصول عليها » وروتشيلد كما يقرر كتاب « في الفكر اليهودي » الذي جمعه حاخام الامبراطورية البريطانية ، « هو زعيم الطائفة اليهودية الانجليزية في عصره وأول يهودي دخل مجلس العموم •• » وهو هنا يعرف أهداف المساواة السياسية التي عملوا من أجلها •• انها كانت تهدف الى زيادة سيطرة « اليهود » على الحياة الاقتصادية ، ولكنها ككل ظاهرة في التاريخ كانت تحمل نقيضها بداخلها ، فان تحقيق المساواة وزوال الاضطهاد ينهي عقدة التعصب ، يحطم عنصر المقاومة •• بزوال التحدي •• يعني ذوبان اليهود في المجتمعات الجديدة •• ومن هنا يفزع روتشيلد ••

ويقول أحادها عام (١) : « ان المقصود هنا من كلمة الاندماج هو فقدان الذاتية ، فهذا النوع من الاندماج ، مع ما يترتب عليه من النتائج ، هو الذي

---

(١) هو : آشير جينزبرج ١٨٥٦ ــ ١٩٢٧ .

أخشاه أكثر من المذابح والاضطهادات » •

« ان مسألة تحرير اليهود ، لا تشغل عندنا الا المركز الثاني ، اذ انها تمس مجرد أحوالنا الخارجية • هنالك غرض أسمى يتعين علينا ان ندركه ، وهو في متناول اليد : أن نعمل على رفع شأن نفوسنا ، حتى تتحقق اليهودية بواسطة اليهود (١) ••

لقد أجمع يهود العالم على أن قوميتنا اليهودية « المشتركة لن يكتسحها قصيرو النظر المتعصبون من دعاة الوطنية المحلية •• فجميعنا اذن صهيونيون ، بحكم ان الصهيونية هي التي تقوى فينا روح التضامن ، وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة » (٢) •

« يجب أن نعود أولا الى الشعور اليهودي قبل أن نعود الى صهيون » (٣) •

والشعور اليهودي هو ذلك الاحساس بالانفصال عن العالم •• هو رفض الاندماج ••

ولقد اجتمع في بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ ، ثلاثمائة زعيم يهودي يمثلون خمسين جمعية يهودية ، أعلنوا انشاء الحركة الصهيونية •• أي أنه كان هناك بالفعل خمسون جمعية يهودية لديها الاحساس الصهيوني و ٣٠٠ زعيم يمثلون جماهير يهودية لديهم فكرة الصهيونية قبل تجسدها في حركة او تنظيم •• وهذه بديهية •• اذ ان التنظيم يعبر عن تيار موجود بالفعل ولا يمكن ان يفتعله ••

ومن هنا يمكن ان نعرف الصهيوني •• انه حتى مؤتمر بال ، كان ذلك اليهودي الذي يرفض الاندماج ، ويرى فيه خطرا أكبر من الاضطهاد والمذابح ••

---

(١) شمشون روفائيل هدش ١٨٣٦ •
(٢) أ• ابراهامس ١٩٠٥ •
(٣) تيودور هرتسل ١٨٩٧ •

فالصهيوني هو اليهودي المتعصب ليهوديته ، سواء أكان ذلك لدوافع دينية أو عنصرية لأن روتشيلد يستفيد من العصبية اليهودية في تنفيذ مشاريعه وخططه الاقتصادية .. وزوال الاحساس باليهودية زوال التعصب لها يجرد رجل الدين من أرضيته ، كما يجرد الرأسمالي اليهودي من عزوته ..

ومن هنا كانت الحركة الصهيونية بهدف تعزيز الاحساس اليهودي وتنمية روح « الجيتو » داخل عقل اليهودي حتى وهو يجلس في بلاط سان جيمس ، ويدير سياسة فرنسا .. ويحرك الأحداث في الولايات المتحدة والمانيا ..

وبعد مؤتمر بال يمكن ان نعرف الصهيوني بأنه اليهودي الذي يرفض الاندماج ويعمل من أجل اقامة وطن قومي لليهود ، يؤكد هذا الانفصال ويكرسه فوق « جيتو » كبير . هو فلسطين العربية .. وأخطر هؤلاء الصهاينة هو الذي انفصل فعلا عن مجتمعه وهاجر الى فلسطين وانتزع الأرض العربية وأقام فوقها دولة اسرائيل عاملا أو فلاحا أو جنديا أو حاكما أو حاخاما ..

وحتى انعقاد مؤتمر بال في سويسرا لم نكن نحن العرب نشعر بأي عداء نحو اليهود ، بل كنا ندعم هذا الاندماج ونؤكده كما يأمرنا ديننا ..

وفي برنامج الحزب الوطني الأول ، حزب عرابي ، تنص المادة الخامسة ، على ان « جميع المسلمين والنصارى واليهود ، وكل من يحرث أرض مصر ، ويتكلم بلغتها منضم اليه ، لأنه لا ينظر الى اختلاف المعتقدات ، وهذا مسلم به عند أخص مشايخ الأزهر الذين يعضدون هذا الحزب » .

بل حتى بعد اعلان الحركة الصهيونية وصدور وعد بلفور وبداية انتزاع الأرض ، لم نستطع خلق حركة معادية لليهود ، حاييم ناحوم أفندي يصبح عضوا في اللجنة التي وضعت الدستور الذي حكمت به مصر ثلاثين عاما !..

وحاييم ناحوم أفندي كان صهيونيا .. هذه هي الحقيقة رغم أنه عاش في مصر الى ما بعد قيام اسرائيل ..

ولم يتعرض له أحد ، وهو الذي قرظ كتاب « في الفكر اليهودي » ووصفه بأنه « لؤلؤة جديدة » واعلن انه « يستقبله بسرور مزدوج وابتهاج مضاعف » •• ستجد فيه الشبيبة اليهودية ، فتيانها وفتياتها • شجاعة تساعدها في اقتحام مضمار الحياة ، والخروج ظافرة منتصرة من المعركة « وهذا الكتاب هو انجيل الصهيونية ، طبع منه ، حتى عام ٣٨ تاريخ الطبعة العربية ١١٥٠٠ نسخة !•• وطبع منه حتى هذا التاريخ للجنود والبحارة اليهود ١٣ طبعة ••

وأحد أناشيده تقول :

مثل قصف الرعد الذي يشق لهيب السحب نصفين ••

سيدوي في آذاننا صوت صادر من صهيون •• وينادينا قائلا : « يجب أن تظل نفوسكم تواقة الى الأبد ، لأرض أبائكم وأجدادكم ••

حتى ننقذ من يد الأعداء نهرنا المقدس ••

وعندما نعود الى ضفاف الأردن سنحط رحالنا

فقسما باسمك المقدس ، لن تتنصل من القتال

اذا ما دقت طبول الجهاد » ••

وهو الكتاب الذي يقول : « ان الحركة الصهيونية اليوم هي أعظم ، بل أشهر حركة يعرفها التاريخ اليهودي » •

طبع هذا في مصر ووزع ولم تنشب مذبحة يهودية •• ربما دل على ضعف الحس العربي وقتها ، وعلى سيطرة الصهيونية على الحياة •• غير انه يدل أيضا على وجود الشعور الصهيوني لدى جميع اليهود بما فيهم يهود البلاد العربية التي لم تعرف اضطهاد اليهود ولا عداء السامية ••

غير أننا يجب أن نضع تحفظا هنا •• فحتى قيام اسرائيل في ١٩٤٨ •• لم يكن كل اليهود يؤيدون فكرة قيامها الآن •• لا عن ايمان بحق العرب ، بل لتخوفهم من تنائج قيام هذه الدولة ، بل أساسا لاقتناع هؤلاء باستحالة قيام الدولة واستبعادهم امكانية فرضها على ٧ دول عربية ، كانت تعلن

ليل نهار أنها لن تسمح بقيام اسرائيل •• ولهؤلاء كان ويزمان يقــول : « أعطونا نصف فرصة وسنثبت لكم أن كل ما يقال عن تضامن العرب ووحدة العرب وقوة العرب هو حديث خرافة » ••

فالصهيوني من ١٩١٧ الى ١٩٤٨ هو الذي يؤيد قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين •• وفي طليعة هؤلاء الصهيونيين الذين هاجروا فعلا الى فلسطين وانتزعوا أرضنا ، وقتلوا شعبنا وأقاموا دولة اسرائيل ••

فاسرائيل كلها كيان صهيوني كل فرد فيه ؛ العمال والفلاحون ، الطلبة ، الجنود ، الفقراء والأغنياء الحاكمون والمحكومين ••

هذه بديهية يجب الا نختلف فيها •• فليس في اسرائيل بالنسبة لنا ، شعب وحكومة ولا يمين ويسار •• ولا كادحون وأغنياء •• كلهم كتيبة الصدام للحركة الصهيونية • كلهم اعداءنا •• اما نحن أو هم (١) •

وشعار ازالة اسرائيل يجب ان نصر عليه اليوم أكثر من أي وقت مضى ، وليقل الحكماء العقلاء ما يدور في قلوبهم بصراحة •• بدلا من الزعم انه ليس تكتيكا ان نعلنه اليوم ، لأن الاعداء والأصدقاء لا يقبلون •• ليكن •• حتى ولو رفضه الأصدقاء ، حتى ولو أثار الأعداء •• لانه الحق ، ولانه العدل ، ولانه الحل العلمي الانساني لمشكلة اليهود •• فطالما ظلت اسرائيل فستظل عملية اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية مستحيلة •• فمن أجل تحرير اليهود •• يجب أن نزيل اسرائيل ••

وازالة اسرائيل هي الصيغة التي تضعها الدعاية الصهيونية ، فيجب الا نشهرها نحن في وجه آمالنا •• فالصيغة السليمة هي استرداد فلسطين •• استعادة عروبة فلسطين •• فهل ثمة شك في ذلك ؟••

---

(١) اسرائيل تعرف الصهيوني بانه اليهودي الذي يقيم في اسرائيل او الذي يستعد للهجرة اليها . (محمود عطا الله اهرام ١٩٦٧/٩/٢٦) .

قولوا بصراحة .. هل تخليتم عن فلسطين .. لا تزعموا ان ذلك يقوي موقفكم عالميا ، بالعكس انه يقضي على كل شرعية لتصرفاتكم بعد ذلك ..

فما دمتم قد سلمتم بقيام اسرائيل ووجودها ، فلماذا تزعجون العالم باصراركم على حربها وبأي حق تفتحون صدوركم وأرضكم لمن يمارسون نشاطا تدميريا ضدها !.. وبأي حق تطاردون المتعاملين معها ، وترفضون مرورها في المياه والخلجان .. وترفضون الجلوس معها على مائدة المفاوضات لحل مشاكلكم المعقدة ؟..

ان كل هذه المواقف تستمد شرعيتها من موقفنا الأساسي من اسرائيل .. فنحن شعب ترتكب ضده جريمة لم تعرف في التاريخ الا في حالة الهنود الحمر ..! بل هي أبشع من وجوه كثيرة .. شعب انتزعت أرضه ، وقتل رجاله ، وشردت أطفاله وشيوخه .. وأقام آخرون بالقوة وحدها ، فوق هذه الأرض .. زرعوا وبنوا .. فكيف نسلم بذلك .. وأي منطق يقبل هذا .. وأي عدل يرتضيه .. وأي حر لا يرفضه ..

والتسليم بوجود اسرائيل في حدود ٤ يونيه أو أي حدود يعني التسليم بغير حد فما الفرق بين العريش وعكا ؟!.. عشرون عاما من الاحتلال .. أهذه وحدها تجعلنا معتدلين عندما نستعد للموت في سبيل العريش ، ومتطرفين ومتعصبين أمام الرأى العام العالمي الحر عندما نطالب بعكا ؟!..

ان عكا أعز علينا وأعرق في تاريخنا من الكوتنللا .. وسيباد العرب ، كل العرب ، ولن يفرطوا في حبة رمل من الكوتنللا ..

وما هو دور منظمة التحرير ، بل ما هو مبرر وجود شعب فلسطين .. ان لم تكن عروبة فلسطين .. أي ازالة اسرائيل وعودة الأرض لأصحابها ..

ثـم نعود لحديث التفرقـة بين اليهودي والصهيوني •• بعد قيام اسرائيل ••

ما الذي حدث في الشعور اليهودي بعد قيام اسرائيل ؟••

نستطيع أن نقول بكل ثقة : ان الصهيونية قد أخضعت لنفوذها الغالبية العظمى من اليهود •• وان كل يهود العالم يؤيدون بقاء اسرائيل ، واستمرار اسرائيل ، ونجاح اسرائيل ••

ولم يقدم لنا حتى الآن رغم كل التقريع والتأنيب الذي ينهال علينا لأننا نخلط بين اليهودية والصهيونية ، نص واحد ليهودي يدعو لازالة اسرائيل •• فاما أن نسلم بأن كل اليهود يتخذون موقفا صهيونيا بتأييدهم استمرار اسرائيل أو أن نعترف بأن تأييد وجود اسرائيل ليس موقفا صهيونيا !

ويبدو أن هذا رأيهم •• ومنذ أن نشر « المصور » مقالته التي دعا فيها الى نبذ شعار تدمير اسرائيل تلقفت الصحافة العالمية هذه الدعوة للتدليل بها على ان هناك أصواتا عاقلة بدأت ترتفع (١) •• وتتابع الصوت العاقل يدعونا للتحاور •• فتحت عنوان ضخم يبشرنا بظهور جمعية للطلبة اليهود

---

(١) كتبت « الوشنطن ايفننج ستار » لقد تحدثنا من حين لآخر عن مقدرة المصريين الفائقة في خداع النفس .. لهذا يجب ان نشير الى ان احدى الشخصيات الكبيرة في الجمهورية العربية المتحدة قد خرج على الشعارات والاكاذيب والوعود الجوفاء .. فقد كتب السيد احمد بهاء الدين ، وهو من كبار المعلقين الصحفيين ، كتب في مجلة « المصور » التي تسيطر عليها الحكومة مؤخرا ، ووجه كلامه الى الشعارات العربية الخاصة بمحو اسرائيل من الخريطة .. وقال في مقال رائـع يحمل في طياتـه معاني مضمونها ، ان المصريين غير واقعيين في تقدير امكانية القضاء على اسرائيل .. وان مثل هذا التعبير العلني لراى معقول ،لا بد وان يعني احد امرين . اما انه سيتم تعيين رئيس تحرير جديد للمصور أو ان الجهل الطويل الذي خيم على مصر اخذ يتبدد (امام فجر لا زال بعيدا) وشنطن ايفننج ستار ١٩٦٧/٧/٩ ..

وكتبت هارتس الصادرة في تل ابيب بعد اغراق ايلات تقـول : « ان الصيحات التي ترددت اخيرا في القاهرة عن فتح صفحة جديدة في العلاقات مع اسرائيل اتضح انها مزيفة بعد اغراق ايلات » ١٩٦٧/١٠/٢٤

المعادين للصهيونية •• وان القائمين عليها قد « تفضلوا فأرسلوا لي بعض نشراتهم وندواتهم ومطبوعاتهم » ••

« وهذه الجمعيات تتفق في شيء أساسي هو رفض الأفكار الصهيونية الثابتة التي غرستها الدعاية الاسرائيلية غرسا في العقل الأوروبي •• ورفض سياسة اسرائيل العدوانية والتوسعية واداتتها بالعدوان ورفض الفلسفة الصهيونية كفلسفة عنصرية •• ورفض دولة اسرائيل بوضعها السياسي الراهن ، أي كرأس حربة غربية (بعكس شرقية) في جسد الشرق الأوسط العربي ••

ورأيي ان « هذه كلها تكون أرض حوار والتقاء خصبة ، تعطينا فرصة ضخمة للحركة ، وليس عندي بعد ذلك سوى أن أقدم مقتطفات من نماذج الكتابات الواردة في بعض هذه النشرات بما لها وما عليها » • وبدأ بهذه النشرة « بيان لجنة الطلبة اليهود المعادين للصهيونية يقول بالحرف الواحد (« بالحرف الواحد » من كلمات « المصور » وهي تعني أن الكلام هام جدا وأكبر من أن يصدق ويحتمل الشك لتفوقه على المعقول !) •

« تم تكوين لجنة للطلبة اليهود المعادين للصهيونية في فرنسا وعنوانها المؤقت هو « سالومون اسيدوا ٢٧ شارع فينيون » وقد تكونت اللجنة على أساس المبادىء التالية :

١ ــ ان الصهيونية لا تقدم الا حلا وهميا لمشكلة معاداة السامية •

٢ ــ ان الصهيونية لكي تحقق غرضها في اقامة دولة يهودية قد وضعت نفسها في خدمة القوى الاستعمارية ، والسياسة العدوانية الراهنة لدولة اسرائيل ليست الا جزءا من مخطط هذه القوى •

٣ ــ ان انشاء دولة يهودية قد حرم الشعب الفلسطيني من حقوقه •

٤ ــ انه يجب الاعتراف في نفس الوقت بالحقوق القومية لوطن يهودي فلسطين (العبارة وردت هكذا وربما تكون في فلسطين وسقطت « في » •• أو مقصود بها يهودي فلسطين مضاف ومضاف اليه ••

فيحتاج معناها لنقاش طويل •• وتبدو كلمة « لوطن » لا معنى لها ولا موضع في الجملة •• لذلك سنناقش الفرض الأول « الحقوق القومية لوطن يهودي في فلسطين » ••

ونحن نطالب زملاءنا التقدميين العرب بطرح أفكارهم في هذا المجال ••

ويقول « المصور » انه قد ظهر رجال شجعان من أمثال الزعيم الاشتراكي الوزير السابق أندريه فيليب •• ويقدم لنا رأى فيليب الشجاع هذا ••

« منذ عشرين سنة كان أمل العرب تدمير اسرائيل كدولة على أن يحل محلها مجتمع مسلم مسيحي يهودي على الطراز اللبناني » ••

ولكن تحقيق هذا الهدف أصبح متأخرا ، فقد أصبح لاسرائيل مؤسسات وصناعات ومجتمع حي •• والغاء هذا معناه آلام جديدة هائلة •• بل انه ليس من مصلحة العرب ان يعيشوا في مجتمع مختلط مع الاسرائيليين بتفوقهم التكنيكي والمادي الذي سيجعلهم بمثابة أرباب عمل والعرب أجراء (واضح ماذا يقصد •• ليس من مصلحة اللاجئين العرب العودة لاسرائيل ••)

« يجب ان تحل نهائيا مشكلة اللاجئين التي تعد عارا على الضمير الانساني •• والحل هو خلق دولة فلسطينية ، سواء مستقلة أو مرتبطة بالاردن مع ايجاد ممر بين الاردن وغزة تتنازل عنه اسرائيل طبقا لمشروعات سنة ١٩٤٨ » (١) ••

ما الشجاعة في مثل هذا الرأى ؟••

ان كان ثمة شجاعة فهي في نشره بالعربية ••

ان الشجاع فيليب أو فيليب الشجاع يطالبنا ••

---

(١) المصور ٦ اكتوبر ٦٧ وفي العدد التالي مباشرة قدم المصور نفس مشروع هذه الدولة مع التنازل عن الممر .. قدمه على انه الاقتراح العجيب الذي يحل مشكلة فلسطين بدون ألم ... ولم يلتزم حتى بحقوق النشر فينسبه الى مخترعه .. فيليب الشجاع !

١ ـ الاعتراف بوجـود اسرائيل والتخلي عن أمل تدميرهـا لأن تدمير مؤسساتها وصناعتها ومجتمعها الحي يسبب آلاما جديدة هائلة ..
فلتدمر مؤسساتنا نحن وصناعاتنا ومجتمعاتنا غير الحية !!

٢ ـ يدعونا للتخلي عن فكرة عودة اللاجئين لبلادهم المحتلـة تحت اسم اسرائيل .. لأن هذا ليس من صالح العرب لأنهم سيتحولون الى أجراء بفعل تفوق اليهود ..

٣ ـ الحل هو قيام دولة فلسطينية عربية خارج حدود اسرائيل تستوعب اللاجئين ..

ألم تهاجم الصحف العربية ما وصفته بأنه مؤامرة اسرائيلية تهدف الى انشاء دولة فلسطينية عربية تجمع فيها اللاجئين وتنتهي من مشكلتهم التي تسبب بعض الألم للضمير العالمي .

ما الجديد .. وأين الشجاعة ؟

وهل تقبل مجلة المصور هذا الحل .. وأين هي أرضية الحوار .. الا اذا كنا قد تنازلنا عن كل شيء .. حتى عودة اللاجئين ..

أم هل الجديـد في الممر بين غزة والاردن .. يعني اننا نسلم أيضا باحتلال النقب ..

أهذه هي الأرضية الجديدة وهذا هو الحوار .. والبشرى التي نزفها للعرب وندعو خبراء الاعلام لاستغلالها ؟..

ثم الطلبة اليهود المعادون للصهيونية .. أين عداؤهم هذا .. ما هي الصهيونية .. أهي اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .. أم مجرد الارتباط بأحد المعسكرات العالمية .. هل الصهيوني هو من يؤيد الاستعمار أم من يؤمن بقومية يهودية لها الحق في وطن قومي .. وفلسطين أرضنا هي هذا الوطن ؟.. أليس هذا هو تعريف الصهيونية الى ما قبل الخامس من يونيو وظهور الأصوات العاقلة .

فكيف يكون المرء مؤمنا « بالحقوق القومية لوطن يهودي في فلسطين »

ويكون عدوا للصهيونية في نفس الوقت ..

لا ..

ان مجرد رفض ارتباط اسرائيل بالغرب لا يخرج المؤمن باستمرار اسرائيل من دائرة الصهيونيين لأن الحزب الشيوعي في اسرائيل صهيوني .. ما دام يؤمن بامكانية وجود أمة لليهود ، وامكانية تجميع هؤلاء اليهود في وطن واحد .. وأن يكون هذا الوطن ملكا لشعب آخر .. ويرى أن هذا الفعل الظالم قد اكتسب شرعية تبرر استمراره بمجرد أننا عجزنا عن مقاومته عشرين عاما .. لا .. فاسرائيل عندما قامت كانت على علاقة طيبة للغاية مع المعسكر الاشتراكي .. ولم يمنع ذلك من ان ندين قيامها ونعمل بكل قوانا على ازالته .. ولو فرضنا ان تيارا رأى اليوم خطورة ارتباط مصير الصهيونية بالغرب وبدولة واحدة فيه .. فدعا لعلاقات أقوى مع المعسكر الاشتراكي فذلك تيار يبحث عن أفضل حماية لأهداف ووجود اسرائيل ويجب الا يغرر بنا فندعو له ونتحاور معه .

لا ..

اليهودي المعادي للصهيونيه هو الذي يرفض أساس الحركة الصهيونية .. يعني يرفض فكرة الوطن القومي ، فكرة هجرة اليهودي من المانيا ليستوطن فلسطين ، يدعو اليهود الذين هاجروا الى فلسطين الى العودة لبلادهم .. التي ما زالوا يتكلمون لغتها ، وليعيشوا هناك ويندمجوا في شعوبهم الأصلية .. يدعو لازالة وهم وطن قومي لليهود فطالما ظل هذا الوهم قائما فستجد الصهيونية مادة لنشاطها ، وستجد الحركة المعادية لليهود مبررا لاضطهادهم والاثارة ضدهم في جميع بلاد العالم .. وسيجد اليهود أنفسهم مزدوجي الولاء رغما عنهم ..

فاليهودي الشجاع هو الذي يدعو لازالة اسرائيل لا الذي يدعو التقدميين العرب وقتلاهم تنهشها الذئاب .. الى الاعتراف بالحقوق القومية لوطن يهودي في فلسطين .

وتأييد اليهود لاسرائيل ، لا ينبعث من اضطهاد الآخرين لليهود .. فيهود أمريكا لا يعانون اضطهادا! .. وهم أكثر اليهود حماسة لاسرائيل .. وهم الذين تحدث عنهم « بن غوريون » صادقـا فقال : « عندما يتحدث اليهودي الامريكي الى رفاقه في أمريكا عن حكومته ، فهو يعني عادة ، حكومة اسرائيل » .

وجولدبرج ، القاضي السابق في المحكمة العليا الامريكية ـ أعلى سلطة في أمريكا ـ وممثل أمريكا في الأمم المتحدة .. هل يخشى الاضطهاد عندما يحضر اجتماعات المنظمات الصهيونية ..

وناحوم جولدمان الذي يعارض حكومة اسرائيل ، يدعو الى الولاء المزدوج ، بل والفخر به .. بل والمحكمة العليا الامريكية تصدر حكمها باعتبار اليهودي الامريكي له الحق في ممارسة الجنسية الاسرائيلية والاحتفاظ في نفس الوقت بجنسيته الامريكية .. (١)

ولكن عملاء الصهيونية في بلادنا لا يشغل بالهم الا الحوار مع اليهود التقدميين ..

« وانا بوكر » الزعيمة الشيوعية لم تكن تخشى الاضطهاد في دولة شيوعية تحكمها ، عندما هربت أباها وشقيقها الى اسرائيل ..

وقادة الطيران والجيش البولنديون ، بدأ اضطهادهم بسبب تأييدهم لعدوان اسرائيل ، وليس العكس ، وكذلك يهود بولندا وتشيكوسلوفاكيا الذين شربوا الأنخاب فرحا بنجاح عدوان ساهمت فيه الولايات المتحدة الامريكية زعيمة المعسكر الرأسمالي ..

---

(١) جمال العطيفي : الاهرام ١٠/١٠/١٩٦٧ .

بعد ١٩٤٨ لم تعد المشكلة هي ارتباط اليهودي باسرائيل ، بل انحصر الخلاف في شكل هذا الارتباط ، ومدى تأثيره على الاهداف اليهودية في السيطرة على العالم ..

فالخلاف بين زعماء اليهود هو : هل يستمر اليهودي في البلد الذي يعيش فيه ويكتفي بمساعدة اسرائيل بالمال والسلاح والتجسس واستغلال النفوذ ، والاستمرار في سياسة السيطرة على العالم من خلال السيطرة على المجتمع غير اليهودي .. أم يحمل حقائبه ويأتي الى اسرائيل لقتل العرب وتوسيع رقعة الوطن اليهودي .. باعتبار ان من يسيطر على هذه المنطقة من العالم يسيطر على العالم كله ؟..

تقول جولدا مايير « جميل جدا أن يعطينا اليهود في الغرب تأييدهم وحماسهم وأموالهم .. ولكن هذا لا يكفي .. هذه المشاركة من بعيد لا تكفي ، فمن بعيد لا يمكن أن تتم زراعة النقب .. ان ترديد الأغاني عن النقب في نيويورك أو بوسطن لا يعمر النقب » ..

ويقول المؤرخ البريطاني « سيسل روث » ان هؤلاء اليهود الذين عارضوا قيام دولة اسرائيل ، يتمنون الآن نجاحها ولا شك ، بعد ان قامت بالفعل .. ثم انهم يعرفون أن فشلها سيكون ضربة معنوية هائلة لليهود في كل مكان من العالم .. ولكنهم مع ذلك قلقون .. فهم يرون أن اليهود في كل دولة أصبحوا لا يشاركون في أي مسألة تهم البلاد التي يحملون جنسيتها .. الا اذا كانت هذه المسألة تتصل باسرائيل » .

المؤرخ اليهودي لم يستثن .. بل قال اليهود في كل دولة .. فلماذا يكون بعضهم ملكيا أكثر من الملك ؟..

بعض حكماء صهيون يتخوفون من تجميع البيض كله في سلة واحدة .. ويعارضون الحاح زعماء اسرائيل وتعجلهم هجرة اليهود .. حتى لا تتحول اسرائيل الى « جيتو » كبير .. ويخشون ردود الفعل من جانب الشعوب ازاء خيانة اليهود للولاء الوطني .

فهو خلاف في الوسيلة لا في الهدف ..

على أية حال ان الذي يحسم موقفنا من اليهودية والصهيونية هو موقفنا نحن من اسرائيل .. هل نسلم بوجودها حتى اذا تخلت عن أطماعها التوسعية .. (وهذا فرض محال) أم نصر على عودة الحق العربي كاملا .. ونعتبر كل من يعترض عودة هذا الحق .. صهيونيا .. جديرا بعداوتنا وحربنا .

وأول خطوة يتخذها الاسرائيلي لاثبات معارضته للصهيونية ولكي يساعد على التمييز بين اليهودية والصهيونية .. هي خلع الجنسية الاسرائيلية والهجرة من اسرائيل والعودة الى الوطن الذي جاء منه لأنه من حقه ومن واجبه ان يعيش بين الشعب وفي الوطن الذي ولد فيه وعاش فيه اباؤه .. ومن واجبه ان يكافح الاضطهاد العنصري والديني في هذا المجتمع .. لا ان يفر منه الى حيث يمارس اضطهادا عنصريا ودينيا ضدنا نحن .. يؤازره صياح المجتمع الذي طرده وحال بينه وبين العيش فيه كمواطن . صياح هذا المجتمع ضدنا نحن واتهامنا بالعنصرية !!

وما دام لا يفعل فمن حقنا ومن واجبنا ان نعتبر كل اسرائيلي صهيونيا ، ومن حقنا ومن واجبنا أن نخوض حرب حياة أو موت ضد كل اسرائيل .

ان الذين قبلوا الحوار مع « أصدقائنـــا » اليهود ، قبلوا الوجود الاسرائيلي .. فأحدهم يعلن بكل جرأة أنه لا يعادي في قليل ولا كثير المليونين ونصف مليون يهودي المقيمين فوق أرضه ..

وفي حديث مع ماكسيم رودنسون بالمصور ، أقترح أن توقف الهجرة الى اسرائيل ، فلا يسمح بذلك الا لليهودي الذي يضطهد في بلده باعتباره يهوديا !!

والغريب ان كل ما علقت به المحررة هو سؤالها « وهل يقبل موشي ديان وأمثاله ذلك .. » أي أنها هي وأمثالها يقبلن ويقبلون ..

المجلة تقبل .. والذين أجازوا نشر المقال يقبلون .. واذا كان هذا الذي هو من نسل اليهود وليس يهوديا في نظر نفسه .. والذي تحتفي به

صحافتنا في ظل الاحتلال والعدوان اليهودي •• يقترح ان تكون فلسطين بلادنا ملجأ لليهودي المضطهد ، فأين نفتش عن يهودي يعارض وجود اسرائيل •• ولماذا يكون لليهودي وحده حق فتح ملجأ ينتقل اليه عندما يضطهد ••

ولماذا يوجد وطن قومي لليهود وحدهم •• أليس هذا! هو جوهر الفكرة الصهيونية ؟••

اسرائيل والاستعمار

قبل ان نحدد موقفنا من اسرائيل ككيان وليس مجرد نظام حكم ٠٠ يجب ان نقف قليلا لنحدد نقطة هامة هي صلة اسرائيل والصهيونية قبلها بالاستعمار ٠٠ وكيف استطاعت الصهيونية أن تجند الاستعمار وراءها وتصبح هي « قيادة الاستعمار ومستغلة قواه » ٠٠

والشائع ان اليهود ارتبطوا ببريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى ثم انتقلوا بولائهم الى امريكا خلال الحرب العالمية الثانية ٠٠

ولكن هذا تبسيط شديد للأمور ٠٠ والحقيقة ان علاقة اليهودية العالمية ببريطانيا قد بدأت مبكرة جدا ٠٠ ويمكن ان نقول انهم كانوا خلف قوة بريطانيا وخلف انتصارها على اسبانيا ، لأن اسبانيا كانت تستأصل اليهود بمحاكم التفتيش ، وكانت انجلترا تفتح أبوابها أمام اليهود ولو نسبيا ٠٠ ثم تزايدت مكانة اليهود في بريطانيا ، وتزايدت عظمة بريطانيا (١) ٠٠

تغنى اليهود :
أي انجلترا
أي أمنـــا
أي انجلترا ٠٠ أي أمنا

---

(١) ان بحث تاريخ اوروبا خلال القرون الماضية يعلمنا درسا واحدا وهو ان الأمم التي استضافت اليهود في بلادها ، وأحسنت معاملتهم وأكرمتهم بمختلف الوسائل ، قد حل بها اليسر والاقبال ، بعكس الأمم التي عذبت اليهود وضيقت عليهم الخناق . فقـد كتبت لنفسها اللعنة بيدهـا (اوليف شربنر ١٩٠٦) ٠٠

ان لليهود قلبا ويدا

أي انجلترا •• أي أمنا

كليهما اليوم لك ••

لك مدى الحياة ، لك حتى الموت •• نعم الى الأبد ••

فهل تأخذينهما كما أعطيناك اياهما بحرية وسرور

• • •

بالله يا انجلترا أجيبي (١) ••

• • •

« انجلترا جديرة ولا ريب ، بان تحيا ويموت ابناؤها اليهود في سبيلها » (٢) ••

ولم يقتصر « حب » انجلترا على اليهود الانجليز ، بل أحاطها اليهود من كل جنسية وفي سائر بلاد العالم بتأييدهم وهذا هو ما نسميه « التحرك العالمي » لليهود ، فموقفهم لا يتأثر بالمجتمعات التي يعيشون فيها ، وعلى طول التاريخ لا نذكر صداما حاسما بين يهوديين •• لقد كانت دول أوروبا تتقاتل رغم وجود عائلات مالكة شديدة القرابة •• لتناقض مصالح البلاد التي يملكها هؤلاء الأقارب •• ولطالما اختلف العربي مع العربي •• والانجليزي مع الامريكي •• ولكن لم يحدث قط ان تقاتل اليهود •• وظلت الأسرة اليهودية تتحرك في اتجاه واحد على نطاق العالم كله ••

« لست وطني الثاني فحسب •• أي انجلترا •• بل انت شقيقتي

---

(١) اليس لوكاس ١٨٩٩ ـ مترجمة من اشعار اليهود في القرون الوسطى .

(٢) هرمان آدلر ١٩٠٥ ..

الرحيمة .. وفي ساعات محنتك يشعر قلبي نحوك بحب أخوي » (١) ..

● ● ●

« عادت انجلترا في عهد الملك ادوارد
فكللت جباهنا بغار الحرية المدنية
لقد ازدان صدر انجلترا العالي
بهالة من النجوم البديعة الرائعة
الا فلتدم عظمتها وليسم مجدها » (٢) ..

● ● ●

انجلترا هلمي واستيقظي
ان القدس شقيقتك تناديك
لقد شعرت هضابك ووديانك بوقع اقدامها تسير برفق في ربوعها ..
وقد شخصت أبوابك بعطف على طرق صهيون فطرب الزمان فرحا وحبا (٣) .

● ● ●

ويقول يهودي الماني في عنفوان الحرب بين انجلترا والمانيا سنة ١٩١٧ :
« اليوم الذي شهد قرار بريطانيا العظمى باتخاذ قوة امبراطوريتها دعامة للقضية اليهودية ، لن يمحى مدى الأجيال من تاريخ العالم » (٤) .

---

(١) ب. م. راسكين شاعر روسي ١٩١٤ ـ لذلك عندما تحارب روسيا انجلترا .. تنتصر انجلترا ..
(٢) اسرائيل زنجويل ١٩٠٢ ..
(٣) وليم بليك ..
(٤) مكسيميليان هارون ..

وهذا التصريح من يهودي الماني خلال الحرب العالمية الأولى هو خيانة صريحة لوطنه المانيا •• ولكن ما من يهودي نظر الى الأمر هذه النظرة •• لا الألماني الذي قالها ، ولا الحاخام الانجليزي الذي جمعها ، ولا الحاخام المصري الذي طبعها ونشرها !•• لأن اليهودي يؤمن بجنسية واحدة ، هي يهوديته (١) ••

ولسنا نغرر الا بأنفسنا لو تصورنا ان اليهود الانجليز لم يعملوا على نصرة بريطانيا في جميع حروبها حتى الحرب العالمية الثانية ، أو أن اليهود في تركيا والمانيا وروسيا ، لم يعملوا على هزيمة تركيا والمانيا وروسيا كلما خاضت حربا ضد انجلترا •• فمصلحتهم كيهود ، وكرأسمالية عالمية ــ كانت مرتبطة بانتصار بريطانيا •• وعندما نتحدث عن المخطط اليهودي الذي يوجه سياسات بعض الدول ، ويدير الانقلابات والحروب ، تزعم الدعاية الصهيونية ، ان هذا من بقايا النظرة العنصرية ، واساطير فطيرة الفصح المعجونة بدم مسيحي !••

والحقيقة ان اليهود كأقلية مضطهدة بصفة دائمة قبل القرن التاسع عشر كانت تلجأ الى حماية نفسها بالسيطرة على مراكز القوة ، بالمال ، أو بالعلاقات الشخصية مع الحاكمين ، أو بهما معا •• واستطاعت خلال قرون عديدة من التصفية أن تكتسب خصائص الوصول الى مراكز القوة ، وفن الاحتفاظ بها ، واستخدامها في خدمة الطائفة اليهودية ، فلما كان القرن التاسع عشر ، وظهرت فكرة الحركة الصهيونية ، ثم تحولت الى تنظيم يهدف

(١) يصرح عملاء الصهيونية في صحافتنا . هذا خطأ .. اليهود ليسوا جنسية واحدة صحيح نحن نعلم ذلك ولكنهم يتصرفون هكذا ، وتجاهلنا لهذه الحقيقة لن يقودنا الا الى الدمار .. وتحت شعار لا تخلطوا بين اليهودي والصهيوني .. سمحنا للبعض بالزواج من يهوديات ، وولينا البعض مراكز أكثر من حساسة فأعطوا اسرائيل نصرا فاق احلامهم بجنون « كما قال قادة اسرائيل » ..

هل كنا نستطيع ان نقول افصلوا زوج اليهودية هذا ، الم نكن نتهم حينئذ بالتعصب ومعاداة السامية والخلط بين اليهودي والصهيوني .. يا عملاء اليهودي الصهيوني .. اجيبوا ..

الى اقامة مستعمرة يهودية في قلب الوطن العربي •• كان من الطبيعي جدا لحركة لا تملك دولة ، ولا اسطولا يحمل علمها ، ولا جيشا •• كان لا بد لها ان تلجأ الى المؤامرة •• وان تستغل انتشار افرادها في جميع دول العالم لكي تصبغ مؤامرتها هذه بصبغة عالمية ••

فبريطانيا كانت اداة الصهيونية أو اليهودية العالمية في تحقيق أهداف هذه اليهودية العالمية ••

ويمكن أن تتعقب المخطط اليهودي في الاستيلاء على فلسطين في ظل احتلال بريطاني الى بداية القرن التاسع عشر ، كان اليهود خلف انتصار بريطانيا على فرنسا •• كما كانوا خلف انتصار نابليون على بروسيا •• وكانوا خلف عداء بالمرستون (١) الشرس لمحمد علي •• وخلف حروبه ضد محمد علي •• لأنه « الوزير الذي أرسل من قبل الله لارجاع اليهود الى فلسطين » !!

وبعد أن اخرجت بريطانيا مصر من فلسطين ،زارها في عام ١٨٥٠ اليهودي موسى مونتفيور (٢) زعيم يهود انجلترا ورئيس جمعية النواب اليهود •• وكان برفقته الكولونيل جولر الذي دعا بريطانيا لاحتلال فلسطين لأهميتها بالنسبة للمصالح الامبراطورية ••

ولكن الحلف اليهودي البريطاني ، دخل ضدنا ، دورا جديدا بعد اعلان الحركة الصهيونية •• فلقد اعتمدت الحركة الصهيونية على عاملين :

- تجنيد الامبراطورية البريطانية بامكانياتها العالمية •• « انجلترا العظيمة التي يمتد بصرها على جميع البحار ، انجلترا الحرة ستفهم أغراض

---

(١) راجع (د. فؤاد حسنين) المجتمع الاسرائيلي ..

(٢) صاهرت اسرة مونتفيور ، اسرتي مرقص صموئيل وروتشيلد ومن هذه المصاهرة كان السير هربرت صمويـل أول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين والذي تولى وضع اسس اسرائيل الى ١٩٢٥ .. ثم تزعم حزب الاحرار وتولى وزارة الداخلية في بريطانيا (د. فؤاد حسنين علي) ..

الصهيونية وأمانيها بل وستعطف عليها (١) •

- العامل الثاني هو استغلال اضطهاد اليهود في شرق اوروبا ، وبالذات في روسيا القيصرية ، لاثارة الرأى العام العالمي ، وتأكيد انفصال اليهود وتخويفهم ومحاربة فكرة الاندماج ، وتجنيد العنصر البشري اللازم لبناء الوطن القومي (٢) •

« موسم الفصح ، حيث نحتفل بذكرى انقاذنا من نير الفراعنة ، موسم الفصح حيث تمتلىء نفوسنا سرورا ، وتلهج السنتنا بالشكر ، تلك هي الأيام التي اختارها جيراننا من ابناء الشعوب الأخرى ليذكرونا ان روسيا حريصة على تكرار المأساة • هنالك جعل عيد الفصح موسم رعب لليهود •• اذ ما يكاد احد الأفراد يذيع الأكذوبة الخاصة بذبح الاطفال المسيحيين ، حتى يهيج القرويون في الشوارع لقتل اليهود • اما الذين شهدوا تلك المناظر الرهيبة فلم تعد الابتسامة الى شفاههم مدى حياتهم ، على مر الأزمنة والأيام •• فكم من فتيات ابيضت شعورهن وشابت نواصيهن بين عشية وضحاها ، وكم من أناس اصيبوا بجنون في لحظة واحدة لهول المصاب » (٣) ••

« مذابح اليهود • اكتوبر ١٩٠٥ •• لقد استغرقت يومين ، لكن احدا

---

(١) تيودور هرتسل ١٩٠٠ .

(٢) يقول مكسيم رودنسون « ان الصهيونية اعتمدت على مواقف الدول المعادية للسامية ورغبتها في التخلص من اليهود .. وعلى هذا الاساس ، حصل هرتسل ١٩٠٣ على موافقة مبدئية من « بليهف » وزير داخلية روسيا القيصرية وبطل حملة الاضطهاد التي نظمت ضد اليهود ، وكان ذلك بمثابة تقليد سياسي يقوم على التقاء اهداف البرنامج الصهيوني مع غايات السياسة اللاسامية » (الحرية ٦٧/٨/١٤ عن مجلة الأزمنة الحديثة) .

(٣) ماري انتين ١٩١١ ..

لم يتناول طعاما او يتبادل سلاما أو يملأ الساعة قبل حلول الليل » (١) •

« كان من جراء الاعيب الحكومة البيروقراطية الاستبدادية المجردة من الرحمة في عهد أسرة رومانوف (٢) مضافة الى ميل عناصر المجتمع المتوحشة ميلا غريزيا للسلب والنهب •• ان وجد اليهودي الروسي نفسه مثقلا بالاصفاد تارة ، مطاردا كالوحش المفترس تارة ، فأصبحت الحياة في نظره عبارة عن حلقات متصلة من الهجوم والآلام والاهانات ليس لتلك الحالة المخزية نظير في التاريخ • هنالك ستة ملايين من الكائنات البشرية يعانون ، بلا انقطاع ، تعذيبا مدبرا من الدولة هادما لكيانهم ، مثبطا لعزائمهم ، تعذيبا يعد جريمة ضد الانسانية حارت له السياسة الدولية » (٣) ••

« كان في مدينتنا أناس يكفيك النظر الى وجوههم لكي يشتعل شعرك شيبا في لحظة واحدة •• أولئك هم الذين خدموا في جيش نقولا الأول ، وعادوا غير معمدين » •

●●●

فمن المؤكد ان القيصر قد حاول مواجهة الثورة النامية داخل المجتمع الروسي بتوجيه سخط الجماهير الى اليهود •• مستغلا استعدادا موروثا لدى الموجيك الروسي ضد اليهود ••

ومن المؤكد ان أجهزة القيصر حاولت ضرب الحركات الثورية بنسبتها الى اليهود ••

كل هذا صحيح •• ولكن صحيح أيضا ان اليهود الذين يعانون كل

---

(١) ادسيب ديموف ١٩٠٦ .

(٢) هذه الاسرة هي الوحيدة التي افنيت تماما .. فلم يعش منها صبي ولا صبية . ربما ببركة اليهود .. او بتآمرهم .. كيفما تشاء !..

(٣) لوسيان ولف ١٩١٢ .

هذا الاضطهاد من حكومة القيصر كانوا يتطلعون لاسقاطها •• ومن المؤكد أنهم عملوا من أجل هذا السقوط ، وأنهم انضموا في أعـداد كبيرة الى الحركات الثورية المعادية لحكومة القيصر الذي يضطهدهم لأنهم يهود • ولأنهم أصبحوا يشكلون نسبة عالية جدا في الحركات المعادية للقيصر ••

لقد عمل اليهود على اسقاط الامبراطورية الروسية ، والامبراطورية العثمانية ، لأن السلطان رفض اعطاء فلسطين لليهود مقابل تسديد ديون الدولة العثمانية (١) ، وضرب السمسار الذي قدم العرض « بالشلوت » وعملوا على ان تخرج بريطانيا من الحرب العالمية الأولى أقوى دولة في العالم • والذي يرفض هذا التفسير عليه ان يرفض أيضا وجود حركة صهيونية ونشاط صهيوني وتآمر صهيوني •• عليه ان يتصور ان اسرائيل هي ثمرة

(١) كتبنا هذا الكلام ، واشرنا الى المؤامرة الصهيونية على تركيا في كتابنا « القومية والغزو الفكري » .. من مجرد استقراء الحوادث .. ولكن الاهرام نشرت لاول مرة وثيقة، لا ندري لماذا تبقى في طي الكتمان طوال هذا الزمن .. الوثيقة تتضمن انذارا واضحا بتدمير الدولة العثمانية من مؤسس الصهيونية تيودور هيرزل .. الذي قال في رسالة خاصة الى السيد يوسف ضياء الخالد يقول : « لقد قلت لمسيو « زادوك كاهن » ان من الخير لليهود ان يتجهوا بابصارهم الى جهة أخرى . قد يحدث ذلك في اليوم الذي ندرك فيه ان تركيا تأبى ان تدرك الميزات الضخمة التي تعرضها عليها حركتنا (الصهيونية) • لقد أوضحنا هدفنا علنا ، وبكل اخلاص وولاء . وارسلت الى صاحب الجلالة السلطان مقترحات عامة ، ويسرني أن اعتقد ان صفاء ذهنه الشديد سيجعله يقبل الفكرة ، من حيث المبدأ ، على ان تبعث تفاصيلها فيما بعد . واذا رفض الفكرة فاننا سنبحث ، وصدقني اذا قلت لك اننا سنجد ما نحن في حـاجة اليه .. ولكن سيكون معنى ذلك ان الفرصة الاخيرة التي تتاح امـام تركيا لكي تنظم أوضاعها المالية ، وتسترد قوتها الاقتصادية ، ستزول الى الابد .. ان الذي يقول لك هذا الكلام اليوم هو صديق مخلـص لتركيا .. وعليك ان تتذكره » التوقيع .. دكتور تيودور هيرزل .. أهرام ١٩٦٧/١١/٤ ..

ونفذت الصهيونية تهديدها كاملا .. رفض السلطان العرض ، واتجه اليهود الى بريطانيا ووجدوا ما هم في حاجة اليه .. واشعلوا ثورة الماسونيين وهدموا الدولة العثمانية ، ودفعوها الى الحرب الى الجانب الخاسر ثم استولوا على فلسطين ..

جهود جماعة من المهاجرين الهاربين من الاضطهاد ، جاءوا وحدهم وبكفاحهم وحدهم .. بل وربما بصراعهم ضد الاستعمار البريطاني أقاموا اسرائيل !..

ان بريطانيا لم تكن سيدة البحار فحسب ، بل الدولة الكبرى الوحيدة التي كان بوسعها احتضان مطالب الصهيونية ، والدولة التي تدفعها حركة الاستعمار لاحتلال فلسطين والدولة التي يتمتع اليهود فيها بأفضل مركز وأقوى سيطرة ..

وهكذا بدأ الاعداد للحرب العالمية الأولى ، بهذه النتائج المحتومة .. انتصار الحلفاء .. هزيمة روسيا ، حتى ولو انها ضمن دول الحلفاء .. هزيمة تركيا وتمزيقها وتسليم فلسطين لبريطانيا .. هزيمة المانيا ، فرغم نفوذ اليهود في المانيا الذي مكنهم من هزيمتها وخيانتها .. الا أن القيصر الذي حمل لقب « حامي الاسلام » ما كان بوسعه أن يحتضن مطالب الصهيونيين بنفس القوة التي يمكن لبريطانيا ان تفعل ..

وكان واضحا ان احتمال النصر البريطاني أكبر ، وأن بريطانيا لن تسمح لروسيا بالوصول الى البحر الأبيض ، فرنسا لم تكن تطمع في أكثر من الساحل السوري ..

وقام الحلف المشئوم ..

« ان ولاءنا للعلم الذي وقفت له الشمس يوما ، من شأنه ، أن يقوى اخلاصنا العميق للعلم الذي لا تغيب عنه الشمس » (١) .

وهكذا عمل كل يهود العالم على ان تنتهي الحرب الى نهايتها التي تمت بها ..

---

(١) جولد سمير ضابط بالجيش البريطاني . ولاحظ الولاء للعلم الاسرائيلي (الذي وقفت له الشمس) ولكن الاخلاص للعلم البريطاني (الذي لا تغيب عنه الشمس) فالاخلاص يمكن ان يكون لراية أجنبية . ولكن الولاء لا يكون الا للراية القومية .. وهذا الكلام لضابط بالجيش البريطاني .. ثم يحدثوننا عن يهودي وصهيوني !! وتاريخ هذه الكلمات هو ١٩٠٢ اي قبل وعد بلفور بـ ١٥ سنة !

هزمت المانيا وكان من عوامل هزيمتها خيانة اليهود الالمان •• واذا كان لهم عذرهم في الحرب العالمية الثانية •• فلم يكن لهم أي عذر في الحرب العالمية الأولى في خيانة الوطن الذي يحملون جنسيته ، ولكن بالمنطق اليهودي •• لا ولاء الا للراية التي وقفت الشمس لها يوما ••

وسقطت « الروسيا المقدسة » •• وتولى الحكم اعداء القيصر بنسبة هائلة من اليهود ، حتى قيل انه كان من بين أهداف اعلان وعد بلفور كسب ود الحكومة الجديدة في روسيا ، وضمان استمرارها في الحرب الى جانب الحلفاء •• كذلك كان وعد بلفور هو ثمن تأييد الولايات المتحدة الامريكية حيث كان اليهود قد مارسوا اسلوب السيطرة ••

يقول الدكتور فؤاد حسنين علي « وكان الحكم في امريكا قد آل الى الحزب الديمقراطي نصير اليهود وحاميهم ، فسافر بلفور الى امريكا في ١٩١٧ ليدرس الأمور عن كثب ، واقتنع اخيرا بأن نفوذ اليهود في البيت الأبيض عظيم جدا •• فأرسلت بريطانيا يهوديا انجليزيا هو السير روفرس اسحاق (الذي أصبح بعد ذلك اللورد ريدنج نائب الملك في الهند ، ثم وزير خارجية بريطانيا عام ١٩٣١) •• أرسلته الى امريكا ليتفاوض مع اليهودي الامريكي (!) لويز بونديز أعز أصدقاء الرئيس ولسن ••

ووضعت الصيغة الأولى لوعد بلفور بواسطة اليهوديين !

وبقية القصة معروفة ••

قال ويزمان : « كان الحل عندنا هو ان ننتدب بريطانيا على فلسطين ، لتتولى الاشراف علينا عشرة او عشرين سنة ، حتى اذا تقوينا ، ذهبت بريطانيا وبقينا نحن ، فنحن الذين أعطينا فلسطين لبريطانيا مؤقتا » •

وأول مندوب سامي بريطاني في فلسطين هو السير هربرت صمويل ــ ومعروف انه يهودي ــ ذلك الذي تولى تنفيذ وعد بلفور ، ولكن أكثر من ذلك انه أحد مؤسسي شركة شل ، أكبر احتكار يهودي للبترول •• ومعروف ان تشرشل قال في الحرب العالمية الأولى « لقد سبحنا الى النصر على بحر

من البترول » وقال : « ان كل قطرة بترول كانت تساوي قطرة دم » ..
وكان البترول البريطاني ، أو الدم البريطاني ، يأتي من مصدر واحد هو شركة شل .. اليهودية لحما ودما .. والتي استطاعت ان تفرض ابن العائلة أول مندوب سام في الوطن القومي .. ثم وزيرا لداخلية بريطانية العظمى ..

ثم يستكثرون علينا أن نتحدث عن سيطرة اليهود على العالم !..

ثم انتقلت قيادة القوة الصناعية والاستعمارية الى الولايات المتحدة .. حيث أصبح اليهود يتمتعون بأقوى مركز ، حيث تخضع الدولة لأكبر سيطرة يهودية .. فانتقل الحلف الى الولايات المتحدة الامريكية وتراجعت بريطانيا الى الظل ..

ولما اكتشف ستالين ان الأطباء اليهود الذين يعالجونه يدسون له سما بطيئا .. والقى القبض عليهم وكان من المنتظر وقوع مذبحة ضد اليهود .. اصيب ستالين بمرض غير معروف ، ووجدت جثته سوداء مفحمة .. وقبل أن تدفن جثته كان بيريا وزير داخليته والمكتشف « للمؤامرة » اليهودية قد اعدم رميا بالرصاص بلا محاكمة وبلا تفاصيل معروفة حتى الآن ..

وما زال ستالين يكفر عن جريمته هـذه حتى الآن .. نبش قبره ، واخرجت جثته ، واحرقت .. ويلعن كل صباح ومساء ..

اما حكاية الصلة بين اسرائيل وامريكا .. بين الصهيونية وامريكا .. فان هذه النقطة تدخل ضمن مخطط الصلح مع اسرائيل الذي يجري العمل والترويج له الآن (١) .

وهذه النقطة بالنسبة لنا لا تحتاج لنقاش طويل .. فنحن نعادي أمريكا ، سواء سيطرت عليها الصهيونية أم لم تسيطر .. لأن امريكا هي زعيمة الغرب

(١) تحت عنوان « امريكا وليست اسرائيل » قالت مجلة « الطليعة » بالرغم من ان اسرائيل هي التي ظهرت في ميدان القتال بالشرق الاوسط ، فان المصلحة الرئيسية في الحرب ضد العرب هي للولايات المتحدة ، وما اسرائيل الا قاعدة ، شأنها في ذلك شأن باقي القواعد العسكرية » .
ما تأثير ذلك على جنودنا المواجهين لاسرائيل ؟..

الصليبي في حربه الأبدية ضدنا •• ولأن امريكا تستغل ثرواتنا وتفرض علينا الفقر والتخلف •• ولأننا نؤمن ـ كما قلنا في أكثر من موضع ـ بالعداء الأبدي بين الشرق والغرب •• بين المسلمين والحضارة الغربية •• نؤمن ان العرب هم قلب العالم الاسلامي وحراسه •• فصدامهم مع امريكا محتوم •• لأن العالم لا يسمح بقيام حضارتين ، الحضارة الغربية التي تقوم تاريخيا على استغلال آسيا وافريقيا •• والحضارة العربية الأسلامية التي تعني تحرير آسيا وافريقيا •• فصدامنا مع امريكا لا تحكمه الاجابة على سؤال البيضة قبل الدجاجة أم العكس •• بل قد يرى البعض أن اسرائيل باعتبارها العدو المباشر الواضح أمام الجماهير العربية •• هي التي تتمتع بكراهية الجماهير العربية المباشرة •• وبالتالي فان تأكيد سيطرة الصهيونية على أمريكا ، وابراز الدور الذي تلعبه امريكا في مساندة العدو الواضح •• هو السبيل لدفع الجماهير الى مقاتلة امريكا ••

ولا أريد هنا أن أعيد وأكرر كل ما كتب عن سيطرة اليهود على الحياة في امريكا وتحطيمهم لكل صوت معارض •• لا أريد فقد سئمنا والله مجادلة من يحملون اسماء عربية (١) حول اليهود ••

غير ان الالحاح السمج حول عمالة اسرائيل لأمريكا •• انما يهدف الى اثارة العطف على اليهود فهم مغرر بهم (٢) ، مسخرون لخدمة الأهداف الأمريكية في الشرق الأوسط •• وهذا يخلق جسرا للتفاهم والفهم مع جماهير اسرائيل على الأقل •• فاليونان مثلا تعمل الآن لحساب الاستعمار الامريكي •• ولكن ذلك لا يعني أننا في عداء مع شعب اليونان بل نحن معه في كفاحه

(١) ليس جميعهم يحملون اسماء عربية ..

(٢) كتب ذلك صراحة في روز اليوسف ، فتحدث صلاح حافظ عن اليهودي البائس الذي يغررون به باسم أرض الميعاد ، وهو في الحقيقة يخدم مصالح المليونير الامريكي ..

وقال « فيليب » في آخر ساعة .. حتى ولو لم يكن في امريكا يهودي واحد لما اختلفت سياستها في الشرق الاوسط .. وقال : ان الشريك اليهودي يعمل لحساب الشريك الامريكي وليس العكس .

ضد السيطرة الامريكية .. معناه أنه لو زالت سيطرة امريكا على اسرائيل فتح باب اللقاء بين الشعبين .. ونعود للحلقة من جديد ، فنجد أنفسنا أمام واجباتنا في « تحرير » اسرائيل من نفوذ أمريكا .. وسرعان ما يتطوعون بالاجابة .. كفوا عن تهديد اسرائيل .. كفوا عن تطويقها وعزلتها ، وعندئذ ستكف اسرائيل عن التطلع الى حماية الغرب (١) .

والغريب ان هذا المنطق لم يعرفوه في الحديث عن باكستان وتركيا وايران .. فكانوا يصابون بالفالج كلما تحدثنا عن أخوة الشعب العربي مع شعوب هذه الدول .. بالرغم من مواقف حكامها في بعض الأزمات .. أما في الصهيونية فهم لا يكفون عن نصحنا بالتفرقة بين الشعب الالماني والنازية .. بين الشعب الاسرائيلي .. وموشي ديان ..

(١) وكنموذج لما اشرت اليه في مقدمة هذا الحديث ، فقد كنت هنا احاول ان أدلل من تركيزهم على أمريكا انهم يريدون السلام مع اسرائيل ولكنهم في اندفاعهم المريب يسبقوني كما قلت ، فقد كتبت « روز اليوسف » صراحة تقول : « ان خطر اسرائيل يكمن في انها قاعدة امبريالية عدوانية ، ولا يكمن في ان سكانها من اليهود » .. « وما يحرك العرب هو ادراكهم لخطر النفوذ الامبريالي في اسرائيل ، وما يهدد الأمة العربية من الاستثمارات الامريكية هناك » .

فنحن نحارب لتحرير اسرائيل من النفوذ الامريكي !.. وما يقلقنا هو الاستثمارات الامريكية لا الهجرة اليهودية !

ازالة اسرائيل

وهنا ننتقل للنقطة التي يثيرها اصدقاؤنا من اليهود ونسل اليهود •• وازواج اليهوديات •• وهي : تحرير المستغلين في اسرائيل من قبضة الفئة الحاكمة » ••

انهم ينصحون بازالة التهديدات التي تمكن هذه الفئة من تعبئة المجتمع الاسرائيلي وبذلك يفتح الباب أمام الصراع الداخلي ، وتنمو امكانية العيش المشترك بين العرب واليهود ••

وقد أوضحنا لماذا نرفض أن نعامل اسرائيل كدولة أو مجتمع أو أمة تتكون من شعب وحكومة •• لأنها كلها كيان ظالم قام فوق أرضي أنا •• فحتى تندثر كل الأجيال التي تعرف هذه الحقيقة ، وحتى ترتوي الأرض بدم أو مذلة كل من شاهد هذه الحقيقة وتركها تقع •• لا يمكن أن تتصور المعايشة مع شعب اسرائيل ••

اما الأصدقاء اليهود ، فنقول لهم ان التهديدات لو زالت ، أي لو اعترفنا باسرائيل ، أو اصطلحنا معها ، أو أنهينا حالة الحرب ، فلن تزول سيطرة الصهيونية ، بل بالعكس ستزداد •• فعقب كل نصر عسكري احرزته اسرائيل زادت حركة الهجرة اليها ، وزاد التفاف اليهود حولها •• لأنها كأي استعمار ينشد الاستقرار وزوال التهديد لوجوده ، لا لكي يكف عن تحقيق أهدافه •• بل بالعكس ليبدأ تحقيق هذه الأهداف • فالمعارضة في استمرار اسرائيل ستتزايد كلما زاد التهديد لوجودها ، كلما ازدادت فداحة الثمن الذي يجب أن يدفع لكي يستمر هذا الوجود •• فالاستعمار الفرنسي ظل مائة

عام بلا تهديد في الجزائر فلم تنشب آية حركة يسارية جدية تطالب باستقلال الجزائر وتعارض الاستعمار الفرنسي ، بل عندما نشبت الثورة الجزائرية مع تفوق الشك على اليقين بانتصارها عارضها الشيوعيون الفرنسيون ، واتهموها بأشنع التهم ، بل وتابعهم الشيوعيون الجزائريون •• فلما تفاقم تهديد الثورة الجزائرية للوجود الاستعماري الفرنسي •• انضم للمعارضة ضد الاستعمار الفرنسي •• سارتر •• بل ورئيس الجمهورية الفرنسية •• شارل ديجول •• وتاريخ الاستعمار البريطاني يؤكد نفس الحقيقة •• فالمعارضة للسياسة الاستعمارية لا تظهر وتشتد الا عندما تتفاقم التهديدات من الحركة الوطنية ، ويصبح ثمن الاستمرار في السياسة الاستعمارية أكبر مما يحققه هذا الاستمرار •

وهل تظنون حقا ان هدف الصهيونية هو اقامة ملجأ يقي اليهودية من الاضطهاد ، فلو سلمنا بذلك لانتفى مبرر وجودها وفترت الهمم في تأييدها ؟••
خرافة •••

ان هدف الصهيونية ، وكل القوى الاستعمارية التي تؤيدها من اقامة اسرائيل هو اقامة مركز استغلالي يدير الوطن العربي وأفريقيا من خلفه لحساب المالية الصهيونية والاستعمار العالمي •

ولو أتحنا لاسرائيل فرصة أمن في ظروفنا الحاضرة لانتقل المخطط الصهيوني الى الخطوة التالية ، وهي السيطرة على العالم العربي •• من خلال السيطرة على اقتصادياته •• وأفكاره •• وسياسته •• ولم تكن لبريطانيا في الهند قوة عسكرية أكبر مما لاسرائيل في الوطن العربي •• ولم تكن بريطانيا تحتل كل الهند ، بل ولا تحكم مباشرة كل ولاياتها •• وكانت الهند أكبر منا أربع مرات •• وحكمها جيش احتلال لا يزيد عن عشرة آلاف جندي ومجموعة من الموظفين البريطانيين ، من خلال تخريب الوعي الهندي ، وتدمير الحس القومي ، واخضاع الاقتصاد الهندي للمصالح البريطانية •• فهل نسعى الى هذا المصير ؟••

ان الصهيونية تعتقد أنها بدأت هذه المرحلة بالفعل ، مرحلة الدولة اليهودية المستقرة ، التي تفرض الصلح على العرب ، وتفرض حق الانتشار اليهودي في الوطن العربي •• أي حق السيطرة عليه من المحيط للخليج ••

هذه المرحلة التي حددها « بن جوريون » بوضوح وجلاء في تخطيطه للتفاهم العربي اليهودي ، عندما قال في تقريره السري الى اللجنة المركزية لحزب « الماباي » في ٢٤/١٠/١٩٣٨ ، أي منذ ٢٩ عاما بالضبط !

قال بن جوريون :

« تكلمت عن خطرين ، وهناك خطر ثالث ممكن وقوعه ، وهو محاولة اخضاعنا لتفاهم يهودي ــ عربي • ان التفاهم اليهودي العربي هو في الحقيقة حل مثالي ، ومرغوب فيه جدا • وفي كل المدة التي قضيتها عضوا في اللجنة التنفيذية الصهيونية ، حاولت أن أصل الى مثل هذا التفاهم ، ونظرت الى كل الطرق والوسائل لتحقيقه ، في وقت الازدهار ، عندما كانت الهجرة واسعة وعظيمة ، وقوتنا في البلاد تسير الى الأمام بخطوات سريعة •• وفي وقت الاضطرابات جربت أن أتفاوض مع زعماء العرب ، وفتشت عن طريق للوصول الى اتفاق مشترك • ولكن في الوقت الحاضر ، وبعد عشرين شهرا من التقتيل والاضطرابات ، وفي الوقت الذي سقط فيه من الضحايا مئات وآلاف من العرب ، ومنيت مزارعنا بالخسائر الفادحة ، وتحطمت اقتصاديات العرب في البلاد الى درجة تكاد تكون كلية ، وفي الوقت الذي نمت فيه كراهية العرب ــ في هذا الوقت ، وبعد كل هذا ــ من الصعب علي أن أتصور أن العرب يقبلون الشروط التي توافقنا •

في هذه الأحوال الحاضرة ، أرى أن التفاهم غير ممكن الا بعد خلق الدولة اليهودية •• عندما يدرك العرب أننا أصبحنا قوة ، وأنهم ــ أي العرب ــ لا يتمكنون من الاستهانة بوجودنا وقوتنا ونشاطنا ، وأن عندنا شيئا نقترحه عليهم • وعندئذ فقط يمكن وضع الأسس لخلق تفاهم يهودي عربي ••

وهذا سبب من الأسباب التي تجعلني أدعو الى خلق دولة يهودية في قسم من هذه البلاد ، لأنني لا أرى في هذه الدولة الهدف النهائي للصهيونية ، ولكن الواسطة لتحقيق الصهيونية . فعندما تكون لنا دولة ، نكون قادرين على التفاوض مع العرب حول انشاء اتحاد عربي يضم فلسطين ، في الشروط التي تضمن لنا الحرية في التوطن في كل أجزاء البلاد .. أما دولتنا فيكون لنا فيها حكم ذاتي في كل الاتجاهات الهامة لنا » .

●●●

صحيح أننا لا نستطيع الآن أن ننفذ شعار ازالة اسرائيل .. ولكن ، لا تشمتوا بنا ، فهو عارنا جميعا ، ومأساتنا جميعا .. ومع ذلك ، فيجب ألا يدفعنا ضعفنا المؤقت الى التخلي عن ايماننا ، وليكن رفضنا التعامل مع اسرائيل هو سلاحنا الذي نسد به السبيل على تفوقها المرحلي من أن يتغلغل في داخلنا ويصبح تفوقا دائما ..

ومتى كانت أهداف الأمم تحددها مواقف الأصدقاء أو رفضهم ؟

بالعكس .. ان الأصدقاء يتحددون بموقفهم من أهدافنا وليس العكس .. فنحن نصادق من يؤيد أهدافنا ..

كذلك لا يتحدد الهدف القومي بالذات بالقدرة الآنية على تحقيقه .. لا ، فلو فكرنا على هذا النحو ، لما قاومنا الاحتلال البريطاني ، ولا قامت ثورة الجزائر ..

بل .. لماذا لا نتعلم من خصمنا ؟!

منذ أيام أذاع « بن جوريون » حديثا ، أشاد فيه بالرواد الذين حملوا فكرة اسرائيل ، فقال ان أحد هؤلاء كتب الى أخيه المؤرخ اليهودي الروسي « شمعون دوفنوف » :

« انني لم أحضر الى فلسطين لأبني حياتي شخصيا ، فان هذا بعيد كل

البعد عن هدفي ، والا كان علي العفاء ، وان هدفي ـ وهدف الكثير من اليهود ـ بعيد وعزيز ، ولكن ليس متعذر التحقيق •• وهذا الهدف هو السيطرة ـ على مر الزمن ـ على أرض فلسطين ، واعادتها للشعب اليهودي ، وأن نعيد اليه الاستقلال السياسي الذي سلب منه منذ ألفي سنة •• لا تضحك ، ان هذا ليس هذيانا ••

« ان الوسائل لتحقيق هذا الهدف بالطرق الآتية :

- تأسيس المستعمرات الزراعية ، والمستوطنات الصناعية •
- انشاء المصانع والصناعات من أنواع مختلفة ، والتوسع فيها بصفة دائمة •• وبعبارة أخرى : وضع جميع الأراضي والاقتصاد في أيد يهودية • ويجب تدريب الشباب والجيل القادم على ذلك ، ويجب أن نسيطر بالسلاح ••

« انني هنا غارق في الأحلام ، ولكن سيأتي هذا اليوم الرائع ، الذي تنبأ فيه « أشاعياهو » في نبوءاته •• وعندئذ يعلن اليهود ، وسلاحهم في يدهم ، بصوت عال ـ أنهم سادة وطنهم العتيق •• سواء أتى هذا اليوم بعد خمسين سنة أو أكثر •• »

ويعلق « بن جوريون » قائلا :

« كتب هذا الخطاب في أول نوفمبر سنة ١٨٨٢ •• وقد وصف هذا الخطاب بايجاز ودقة الخطة التي أدت الى تحقيق قيام الدولة بعد ٦٦ سنة » •

يا ترى ، هل كان أعداء الصهيونية يقبلون هذه الأحلام أو الخرافات وقتها ؟ بل اننا نزعم أنه حتى غالبية اليهود ، ما كانت تصدق امكان تحقيقها •• ولكن ، هل فت ذلك في عضد المتآمرين ؟ هل دب اليأس في نفوسهم كما دب في نفوس البعض عندنا لمجرد مرور عشرين عاما •• ولمجرد هزيمة عسكرية ، أو حتى ثلاث هزائم ••

وما عشرون عاما في عمر الأمة الاسلامية ؟•• وما هزيمة عسكرية في أمة تعدادها مائة مليون عربي ؟••

ان هزيمة عسكرية واحدة نتزلها باسرائيل تعني زوالها ، أما نحن فقد احتلنا الصليبيون قرابة قرنين ، وفنى الصليبيون وبقينا ..

فلماذا اليأس .. ولماذا التخلي عن المبادىء والأهداف ؟!

يهمسون .. انهم يقصدون حقا ازالة اسرائيل .. هذه قضية لا جدال فيها .. ولكن يجب ان نكسب الرأى العام العالمي ..

والرأى العام العالمي كان دائما ابدا حجة المتخاذل .. أي رأى عام عالمي ؟ الذي لم يستطع ان يوقف ضرب فيتنام من سبع سنوات ؟

هل ثمة رأى عام عالمي مقتنع بأنه من حق الولايات المتحدة الامريكية ان تدافع عن نفسها ضد خطر الشيوعية .. في آسيا ؟.. وان من حق الولايات المتحدة أن تجرب كافة الأسلحة ضد شعب فيتنام ، وان تدمر كل ما بناه الشعب الفيتنامي ؟

أي رأى عام الذي لم يستطع أن يجمع في فرنسا مليار فرنك لفيتنام في أربع سنوات ، وجمع مليار فرنك لاسرائيل ، لتقتل بها العرب في أقل من أربعة أيام ..؟!

هل سنملك يوما جهازا دعائيا أكبر من الجهاز الشيوعي ، بدوله واحزابه وتشكيلاته السرية والعلنية ، وحلقات العاطفيين حوله .. هذا الجهاز لم يستطع ان يؤثر في الرأى العام العالمي ، على نحو يشل عدوان المعتدين .. فهل نستطيع نحن .. بمجرد مضغ كلمات عن عداء السامية ، وصهيوني ويهودي ؟!

الرأى العام العالمي الذي لم تثره ولم تحركه مذابح العرب في ١٩٤٨ و ١٩٦٧ .. وجن جنونه لأننا منعنا ٥٪ من تجارة اسرائيل من المرور في خليج العقبة ؟

الرأى العام الذي دعت اسرائيل ممثليه الى « رحلة سياحية » يشاهدون فيها احراق معامل تكرير البترول والسماد المصرية في السويس . فذهب ممثلو الصحافة العالمية في اسرائيل الى السويس في « أربع عربات اوتوبيس

سياحية » وشاهدوا وعادوا يكتبون : « لقد اصبحت السويس مدينة ميتة » (١) .

« الحريق العملاق الذي أخذ يلتهم خلال يومين ، اثنين من أكبر معامل البترول في مصر ويحيل ما يقرب من مليار فرنك الى سحب كثيفة سوداء وألسنة لهب طويلة .. هذا الحريق أعطى لمصر منظر الاذلال الذي لا يحتمل » (٢) .

« يقول رجل الشارع في اسرائيل : علينا أن نضربهم ، ونضربهم في الموضع الذي يدميهم .. وقد وجهت المدفعية الاسرائيلية في تبادلها اطلاق النيران عبر قناة السويس طلقاتها الى المكان الذي يدمي حقيقة : الا وهو معامل التكرير الهائلة ومخازن الوقود في السويس » (٣) .

« بعد الصواريخ .. فليأت العرب الآن صاغرين » (٤) .

أي رأى عام ..؟ الغربي الصليبي الذي يمقتنا ويكره اليهود ويتمنى لو نذبح له اليهود ، والذي يحتقرنا ويبغضنا الآن أكثر من أي وقت ، لأننا لم نهزم اليهود ..

والذي يتمنى أيضا أن يدمر اليهود كل أمل في محاولة بعث اسلامي للعرب ؟

ان المواطن الفرد العادي في الغرب ، هو ثمرة تكوين نسجته حروب خسيسة خلال أربعة قرون من استعمار وحشي ، لم تعرفه البشرية من قبل ..

من دماء الشعوب الضعيفة ، ومن ثرواتها وفوق أرضها قامت حضارة الغرب ، ورفاهية الغرب ، وعلوم الغرب .. بل وانسانية الغرب ..

فكيف تروع مثل هذا الانسان جرائم اسرائيل .. أليست اسرائيل تكرر ما فعله هو في أفريقيا وآسيا .. وأمريكا ؟..

---

(١) صنداي تايمز .

(٢) الاكسبريس الفرنسية ١٩٦٧/١٠/٣٠ .

(٣) صنداي تايمز ١٠/٢٩

(٤) الجارديان البريطانية ١٠/٣٠ مقتبسة من اقوال الرأى العام في اسرائيل .

ولماذا نخشى اثارة الرأى العام العالمي ، عندما نتحدث عن الحق المشروع لشعب عكا في العودة الى بلده عكا ، ولا تخشى اسرائيل من اعلان أهدافها التوسعية بكل وضوح ووقاحة ، فيدعو اشكول المهاجرين الجدد لاستعمار اسرائيل الكبرى ، اي من سيناء الى سوريا ؟..

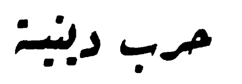
لماذا لم يخف « بن جوريون » من الرأى العام العالمي عندما قال : « أما السيف الذي أعدناه لغمده ، فانه لم يعد الا مؤقتا . اننا سنستله حين تتهدد حريتنا في وطننا ، وحينما تتهدد رؤيا أنبياء التوراة .. فالشعب اليهودي بأسره سيعود الى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد ، الممتدة من الفرات حتى النيل » (١) .

لا ترتعدوا من الرأى العام .. كونوا أقوياء فسيحترمكم .. افرضوا ارادتكم .. وانتصروا فسيسمع لكم .. ألم يقل بن جوريون في ١٩٣٨ : « ليخط الآخرون أية خطوة يريدونها ، وليفعل الأجانب ما يريدون ، ولكن اذا عرفنا كيف نصنع التاريخ في هذه الظروف غير المرضية فلن يغلبنا أحد » .

ولا يعني حديثي هذا اننا نهمل الدعاية ، أو ان نستمر في الاسلوب الاعلامي المضحك المبكي الذي نجري عليه حاليا .. ولكن القضية الرئيسية في ظني .. اننا يجب ان تكون لنا سياسة واضحة ، لكي يكون لنا اعلام مقنع .. يجب أن يتضح في مفهومنا أولا ماذا نريد ؟ وكيف ننوي أن نصل اليه .. ثم تأتي مهمة الدعاية له .. قد نقول كل ما نريد أو لا نقول كل ما ننوي .. المهم ان نعرف أولا .. وأن تتفق أولا .. وان ننوي أولا .. وأن نثق أولا وقبل كل شيء .. ان قوتنا الذاتية هي وحدها الحاسمة ، وهي التي تقول الكلمة الأخيرة .

---

(١) خطاب بن جوريون ٧ يونيه (حزيران ١٩٤٩)


حرب دينية

بقيت قضية الدين ..

والحرب الدينية ..

الطابع الديني للصدام العربي الاسرائيلي ..

فالذين يفتحون الحوار مع اسرائيل ، يتهموننا بالتخلف والرجعية لأننا نزج بالدين في المعركة .. ويحذروننا من « الأرضيات الدينية » ويربأون أو يربأن بالدين أن يزج في هذه المعركة ..

ماذا تعني الحرب الدينية ؟.. هل نحن نشن حربا على اليهود بهدف ازالة الدين اليهودي ؟

قد كنا اقدر على ذلك في قرون عديدة سلفت .. بل اننا نزعم .. وليحاسبنا من يشاء .. ان الدين اليهودي ما بقى .. ولا بقى اليهود .. الا بفضل تسامحنا وبحماية سيوفنا وسواعدنا ..

ولكن عندما يسعى اليهود لهدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وبناء هيكلهم فوق أنقاضه .. ماذا نسمي ذلك ؟.. ان لم يكن عدوانا دينيا ؟..

عندما يقول بن جوريون من عشرين عاما ويظل يكرر « لا معنى لاسرائيل من غير القدس ، ولا معنى للقدس من غير الهيكل .. » ماذا يعني ذلك ؟

هل نصبح رجعيين ان دعونا الجماهير العربية لمقاومة هذا العدوان باسم الاسلام واستصرخناهم للذود عن مقدسات الاسلام ؟..

هل كانت الجماهير العربية المسلمة .. متخلفة ورجعية عندما عرضت

حياتها لبطش المحتلين ، متظاهرة ضد دخول حاخام المسجد الأقصى ليصلي صلاة اليهود !..

هل نرفض مناصرة جماهير باكستان .. لأنها تؤيدنا باسم الاسلام ؟!..

هل نستطيع ان ننكر الطابع الديني للعدوان الصهيوني رغم كل الحقائق التي نلمسها ،

حركة قاصرة على ابناء دين واحد .. وتستند الى نصوص هذا الدين..

وقادتها يبكون امام حائط ورئيس جمهوريتها يدس ورقة تحمل امنياته في شقوق هذا الحائط .

وجماهير تتظاهر ضد الذين يعملون في يوم السبت .

وشعبها يغير اسماءه الى اسماء عبرانية ..

وينادون وهم يقتحمون المسجد الأقصى « يا لثارات خيبر » !

كل هذا ليس كافيا لابراز الطابع الديني للحركة الصهيونية والعدوان الاسرائيلي .. لقد انتاب عملاء الغزو الفكري الذعر من البعث الاسلامي الذي هفت اليه قلوب الجماهير مع النكسة ، بعدما افتضحت عملية التخريب التي شنت خلال السنوات الماضية ضد الاسلام ، وبعدما انهارت كل الحركات والمبادىء المعادية للاسلام ، وتبين انها كانت العامل الأول في صنع الهزيمة ، وتبين أنه بغير عقيدة ، بغير ايمان ، لا يمكن خلق رفض حقيقي فعال للعدوان الاسرائيلي ..

ان الذين اهتموا خلال السنوات الماضية بتدمير القيم الدينية وعزل الدين عن الحياة العامة ، واستئصال كل وجود له من السياسة والتربية والحياة الفكرية للعرب .. كانوا يمهدون الطريق للنكبة ويجردون الأمة العربية من أقوى سلاح تتسلح به الشعوب عندما تواجه شريعة الغاب ، ويرتهن وجودها بالدم والحديد والنار ..

لقد أدخلوا الأمة العربية ، المعركة ، بلا عقيدة ، وبمجموعة من الأفكار المشوشة الفاسدة المتقممة من مزابل الحضارة الغربية ، محاولين اطعام النمو

العربي بها بعد غليها في « قدر » الماركسية الصدىء ..

واجهوا مجتمعا أقيم لابادتهم ، واجهوه بروح مسالمة وادعة مجتمعا متعصبا دينيا ، واجهوه باستبعاد الدين .. والا فقولوا لنا كم عدد الآيات القرآنية التي يستشهد بها المتكلمون في الدول العربية المتحررة ؟ أو متى ورد ذكر الجنة (١) في أي كتاب « عقائدي » من كتبهم .. لماذا يموت الجندي ما دامت الجنة قد حذفت من قاموس توعيته ؟.. أمن أجل الاشتراكية ؟.. وهل يموت قبل ان يعرف أهي اشتراكية عربية أم تطبيق عربي للاشتراكية ؟!..

والغريب ، بل المريب ، انهم يعرفون أهمية الدين .. ففي عرض لكتاب صهيوني ، يؤكد العارض حتمية زوال اسرائيل لأن شبابها غير متدينين ! « ان سكان المدن الصهيونية لا يهتمون الا بمشاهدة أردأ الأفلام الامريكية ، أما الاذاعة الصهيونية فانها صورة طبق الأصل من البرامج الامريكية .. موسيقى خفيفة مع اعلانات ودعايات .. فالاذاعة ليست دعامة ثقافية ولا فكرية ، والشبان والشابات لا يقومون اطلاقا بواجباتهم الدينية (١) اذن لا يوجد في المجتمع الاسرائيلي : « تقاليد ثقافية محلية » وبخلاف ذلك فان الثقافة الامريكية السطحية هي المسيطرة وهكذا نشأت بروليتاريا مدنية مثقفة قليلا ، منقطعة عن جذورها الثقافية (٢) ..

وربما تكون هذه التيارات موجودة بالفعل في اسرائيل ، فان تمرد الشباب على الكهنوت الديني ، ظاهرة حتمية وطبيعية .. وهذه هي معجزة الاسلام ، الذي الغى الكهنوت وجعل ضمير الانسان هو صلته الوحيدة بربه ، قضي على التناقض بين الأجيال ، وألغى حتمية التمرد الديني لدى الأجيال الجديدة ..

---

(١) قبيل النكسة كانت الموضة هي الاستشهاد بالتوراة ووضعها على مكاتبهم وقول الشعر على نسقها . . فانتصر اصحاب الكتاب الذي حاز اعجابهم !.

(٢) خليل احمد خليل ـ مجلة دراسات عربية الصادرة عن دار الطليعة يونيه ١٩٦٧ ص ٥١ .

غير انه يرد على هذه النقطة ملاحظتان :

ـــ الأولى ان القوى المسيطرة على المجتمع الاسرائيلي تعي أهمية العقيدة الدينية ، وتوجه المجتمع بها لخدمة أهدافها ، والمقال نفسه يعترف بذلك :

« فالزواج المدني غير معترف به رسميا في اسرائيل (١) الا أن العمال أذكياء فهم يعرفون حقيقة الدين الصهيوني •• يقولون : « الدين عندنا سياسة » (٢) « ان الدين اليهودي يمنع الزواج المختلط بين اليهود وغير اليهود • مثلا يهودي متزوج في قبرص امرأة غير يهودية ، يستطيع ان يتزوج يهودية في اسرائيل ، لأن رجال الدين لا يعتبرون الزواج الأول ، وحتى آن الدولة تلاحقه وهو مقيم مع زوجته الشرعية التي تزوجها خارج اسرائيل بتهمة الدعارة » •

ويتساءل الكاتب التقدمي جدا « وماذا يعني ان تدعى دولة اشتراكية مزعومة ، ويسيطر عليها قانون الاكليروس الذي يرفضه ٧٦٪ من المواطنين•• سوى ان الدين وسيلة سياسية وآلة من آلات الدعاية الصهيونية » •

ألا تعرفون من الاشتراكية الا انها تتعارض مع الدين ؟••

يقول المعلق : « ان رجال الدين في اسرائيل يفرضون واجباتهم التقليدية على المواطنين والزائرين الأجانب •• أما يوم السبت فهو من أجل أيام المهازل في اسرائيل •• السبت يعني توقف كل نشاط ، ابتداء من مساء الجمعة •• ان الحجارة تمطر هذا اليوم ، السيارات المتنقلة وتسقط الحجارة الدينية على المارة والسيارات •• ويقوم بذلك « حراس المدينة » ••

« اسرائيل لها وزير للشئون الدينية ، لعل مهمته ان يهنىء الذين يعتدون ، يوم السبت ، على المارة المتجولين والسيارات ، شيء مخجل يقول اليهود الملحدون : وزير يشجع انتهاك حرمة القانون » « ورجال الدين يملكون

---

(١) قبيل العار باسابيع كان شغلهم الشاغل هو الغاء نظام الزواج الاسلامي .. او معركة قانون الأحوال الشخصية ..

(٢) وهو هكذا في العالم كله .. وايضا اللادينية سياسة معادية لمصلحة الأمة العربية ..

مسالخ لذبح المواشي وتوزيع لحومها ، وحينما انشئت مسالخ ماريسك عارضها هؤلاء بقولهم : انها منافية للدين »

ما يعنينا هو موقف قيادة المجتمع من الدين •• وواضح من أقوال المؤلف اليهودي وعارض الكتاب « التقدمي » ان قيادة المجتمع الاسرائيلي تؤيد الدين وتناصر رجال الدين وتحمي فرضهم للسلوك الديني على المجتمع (١) •

ـ والملاحظة الثانية : هي ان كون الدين يشترك في تكوين الدافع الروحي لوجود المجتمع ، قضية منفصلة ، عن التدين ـ خاصة في غير الدين الاسلامي ـ حيث ينحصر التدين تقريبا في ممارسة طقوس معينة ، وفي أماكن خاصة ، وبواسطة رجال مخصوصين •• وحيث يمكن ان تنتظم الحياة المدنية بعيدا عن هذه الطقوس ، وبغير هؤلاء الرجال •• ومع ذلك تبقى حقيقة العصبية الدينية في هذه المجتمعات ••

وبمناسبة الحديث عن اليهود الملاحدة يقول صحفي فرنسي (٢) معلقا على استيلاء اليهود على حائط المبكي : « دخل زلمان شازار رئيس الجمهورية ، المدينة المفتوحة ، ووقف أمام المبكي ، ولأول مرة منذ عشرين قرنا ، يقف رئيس دولة عبرية مستقلة أمام معبد سليمان الكبير • وهذه هي عودة شعب داود الى الأماكن العتيقة •• بل ان الاسرائيليين الملحدين ذاتهم قد تأثروا ايضا بهذه الرموز الدينية ، وهم لن ينتزعوا من القدس دون ان تدمى قلوبهم » •

وما لم تدم قلوبنا على المسجد الأقصى : أولى القبلتين الذي باركه الله وشرفه باسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم •• ما لم تدم قلوبنا على مصلى عمر أمير المؤمنين فلن نخرج اليهود من القدس ••

اذا قست قلوبنا فلم تدم على ديننا ومساجدنا الأسيرة ، وكرامتنا

---

(١) لم تنكب حكومة اسرائيل بيهودي مارق يدعوها لنبذ الدين حرصا على شعور الأقليات ..

(٢) جان نويل جورجان ..

الجريحة ، وتاريخنا وأرض أجدادنا •• اذا ظلت الغشاوة على أعيننا وقلنا ان الهدف من كل الذي جرى ، كان اسقاط الحكم التقدمي في دمشق •• وما دام لم يتحقق هذا الهدف • فالعرب بخير •• اذا ظللنا نردد هذا الهراء فابشروا بهول أفظع وعار أكبر (١) •

(١) من الحوادث الجديرة بالتأمل والوقوف طويلا ، انه قبيل النكسة ، قبيل احتلال اليهود ما بين القنطرة والقنيطرة .. نشر مقال به سب في الله سبحانه وتعالى بصحيفة القوات المسلحة السورية ..

كتب كاتب المقال مقاله ، ودفعه الى المشرف على التحرير فأجاز هذا نشره ثم دفع به الى سكرتير التحرير ، فحرر عناوينه ، وحدد بنط جمعه ، وأبرز ما شاء من فقراته ، بحروف سوداء وأخرى تحتها خطوط .. ثم دفع به الى المطبعة فصف العمال بها حروفه ، وطبعت عليه تجارب أو بروفات ارسلت للمصحح والرقيب الدائم على الصحف في سوريا بل والرقيب العسكري ايضا باعتبارها مجلة القوات المسلحة وأجاز كل كل هؤلاء سب الله .. استغفره واتوب اليه .. ثم دارت المطابع تطبع المجلة وانتقلت للمجلدين فالموزعين .. وخرجت الى السوق وتخاطفها القراء حتى ثار لها بعض الشيوخ على منابر المساجد ، فكانت الاضرابات واغلاق الحوانيت .. فنزول الجيش والقبض على محركي « الفتنة » ومصادرة المجلة ..

وفسر وزير مسئول « اللعبة » بانها مؤامرة دبرت بليل بين المخابرات الامريكية عن طريق جاسوسها كاتب المقال الذي يعمل بالمجلة ، وبين الاردن الذي استعد جيشه للزحف .. وبين الشيوخ المسلمين في سوريا .. فما أن تنشر المقالة حتى يتلقفها الشيوخ فيهيجون العامة وتتدخل المصفحات الاردنية لتحطيم النظام التقدمي الذي اتعب الامريكان ودوخهم ..

صدقنا ..

بل اكثر من هذا نحن نشك في وجود عملاء للمخابرات الامريكية اعلى بكثير من رتبة كاتب المقال .. والله اعلم كم من ايللي كوهين لم يعترف بعد ..

ولكن ..

نحن نسأل سؤالا واحدا .. اكان يمكن ان يمر مقال به طعن .. ولو ارق من النسيم .. في ذات الحكم التقدمي ؟.. لماذا استبيح عرض الدين .. وسهل سب الذات العلية .. فلا ينتبه احد ولا يغضب غاضب .. حتى يتنادى المسلمون من فوق منابر المساجد .

لأن الدين .. والدين الاسلامي بالذات ، أصبح متهما مضطهدا في ظل حكم الحزبية الملحدة المريبة .

والحرب الدينية قضية ذات شقين :

● أولا •• هي حرب مفروضة علينا ، فالعدو ـ كما رأينا ـ يقيم وجوده كله في عقل الفرد اليهودي على أساس ديني ، وينسب الأرض والدولة الى نصوص ونبوءات دينية •• ويشن ضدنا عدوانا يستهدف ـ ضمن ما يستهدفه ـ ازالة وجودنا الديني •• ومن ثم ، فان رفضنا « الأرضية الدينية » للصراع لا يفيدنا ، بل يفيد العدو ، لأنه يغطي أهدافه العدوانية ، ولأنه يحرمنا من مساندة قطاعات واسعة تثيرها الحمية الدينية •

● الشق الثاني ، وهو الأهم في اعتقادي ، هو الدافع •• العقيدة التي تحرك جنودنا ••

لقد هزمنا في هذه الحرب لأننا قاتلنا بلا عقيدة •• لأننا ـ خلال التبعية والانهيار ـ بعدنا عن روح الاسلام ، وفقدنا روح العقيدة •• ثم تكالبت علينا الحركات العميلة والدخيلة في السنوات الأخيرة ، فجردتنا حتى من شكليات الدين •• أصبحت كلمة « عقيدة » و « عقائدي » تعني غير المتدين •• تعني الملتزم بنظرية سياسية ، أو مذهب اقتصادي ، أو حتى المنتمي لتنظيم بعينه •• بينما أصبح المتدين ، أو المؤمن بالاسلام ، متهما بالرجعية ، مشكوكا في ميله للأحلاف !••

جردنا من العقيدة ، فحقت علينا الهزيمة ••

وعندما أفاقت الجماهير على الهزيمة المروعة ، والتجأت الى الدين ، وكان هتافها وتصفيقها يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٧ ، عندما ذكرت القيم الدينية ـ يؤكد حقيقتين :

● أن فطرة الجماهير سليمة ، لم تفسدها جهود الاستعمار الصليبية ، ولا المؤامرات الصهيونية ، التي ركزت على تخريب الايمان الديني •

● أن الجماهير تؤمن بأن الدين هو المخرج من النكسة ••

وعندما وضحت هذه الحقائق ، هب الذين أفزعتهم هذه الرؤيا ، وأرعبهم اعلان الجماهير سقوط كل الشعارات والأفكار والحركات التي انفصلت عن الدين ، وتولت توجيه الجماهير خلال السنوات الماضية ••

هبوا يحاولون الاستمرار في دورهم .. دور تضليل الجماهير ، باختراع أسباب للنكسة ، واقتراح الحلول للخروج منها .. وآخر ما اكتشفوه هو ضرورة أن نصبح مجتمعا عصريا ، وأن اختلاف المستوى التعليمي هو سبب الهزيمة !

وأول ما يتبادر للذهن أنهم ــ بوضع القضية على هذا النحو ــ انما يحولون الهزيمة الى قانون طبيعي ، ما من سبيل الى تفاديه .. وأن هذا القانون سيظل يعمل لفترة طويلة من الزمن ، حتى نصبح مجتمعا متعلما متحضرا عصريا .. والقضاء على الأمية ــ مجرد محو الأمية ــ في الوطن العربي ، يحتاج لعشرين عاما على الأقل .. فما بالك ببناء مجتمع عصري في مستوى أوروبا وأمريكا !

بالطبع ، ان هذا ــ فضلا عن ذلك ــ يستر جريمة الذين صنعوا النكسة .. اذ ما مسئولية قائد الطيران ــ مثلا ــ عن تفشي الأمية بين الفلاحين المصريين ؟ وما مسئولية قائد الجبهة السورية عن المجتمع غير العصري في ريف سوريا ؟

كانت الهزيمة ــ وفقا لهذا التفسير ــ قدرا محتوما ، والذنب على التخلف !

وهذا التفسير ــ أيضا ــ يفتح الباب للراغبين في انهاء حالة الحرب .. يفتح الباب للراغبين في التربع على السلطة باسم الاستعداد للحرب ضد اسرائيل ، ثم لا يحاربون أبدا .. لأن الحرب يجب ألا تقع ، والنصر لا أمل فيه قبل أن تتحول الى مجتمع متعلم عصري .. قبل أن يسوق الدبابة مهندس كما هو الحال في اسرائيل ..

ولكن هذا التفسير أيضا ــ وهو الأخطر ــ يحاول أن يضلل الجماهير عن القضية الرئيسية .. قضية العقيدة .. الدين ..

فليس ثمة خلاف على ضرورة الآلات ، ولا أظن أن مجتمعا من المجتمعات لا يعرف أهمية أن تكون لديه طائرات ودبابات من أحدث طراز ، حتى ولو لم يبذل أي جهد في امتلاكها .. ولا أظن أن الجنس البشري بحاجة الى

من يعلمه فضل التكنولوجيا وأهمية المخترعات الحديثة .. وليس في بلادنا من يجادل في فضل السيارة على الحمار ، أو المصباح الكهربائي على « لمبة الجاز » .. ولو كان لثوار فيتنام من سبيل الى قنبلة ذرية ــ لدفعوا ملايين من أرواح شعبهم لامتلاكها ..

لماذا هذا الجدل السخيف ؟ وأين هو الكشف العبقري الذي اكتشفوه ؟ وهل كنا بحاجة الى مثل هزيمة ٥ يونيه لنكتشف أهمية العلم ؟

ولما ضيق الخناق على أصحاب هذا التفسير ، قالوا انهم يقصدون مجتمعا سلوكه عصري ..

يعني ماذا ؟..

ألم يتولوا خلال السنين الغابرة مهمة تعليمنا العصرية ؟ وهل عرفوا من العصرية الا منع الطلاق ، وتحديد النسل ، وانشاء الفرق الراقصة ، والهوس دفاعا عن الاختلاط في المدارس ؟!

لماذا لم تعلمونا السلوك العصري .. وما الذي حال بينكم وبين العصرية .. ولماذا لم ينتبهوا الى أن المجتمع « العصري » في اسرائيل ــ والذي اكتشفوه فجأة ــ يحرم الزواج المدني ، وتلقى الجماهير فيه الأحجار على من يعمل يوم السبت (١) .. لأن صناع المؤامرة الصهيونية

---

(١) نقلت الأسوشيتدبرس من لندن النبأ الذي نشر في صحفنا (قبل النكسة) بهذا العنوان :

العقيدة اليهودية
في جنازة تشرشل !

وضعت الصحيفة العربية علامة تعجب ودهشة من تخلف زعماء اسرائيل ..

والخبر يقول : « اضطر شازار رئيس جمهورية اسرائيل (٧٦ سنة) ، وبن جوريون (٧٨ سنة) الى السير مشيا على الأقدام مسافة ميل ونصف ميل ، وذلك أثناء تشييع جنازة تشرشل أمس الأول ، حيث وافق اليوم الذي تحرم فيه الديانة اليهودية على اليهود استخدام وسائل النقل » ..

تتعجب الصحيفة .. وتنسى انه ما من أمة تبقى اذا ما امتهنت مقدساتها !

قد عرفوا من سنوات أن « شعب اسرائيل لم يحافظ على السبت فحسب ، بل ان السبت هو الذي حافظ على شعب اسرائيل » .

وما دمتم قد اخترتم أن تتعلموا من اسرائيل ، فأحسنوا الاختيار .. ما الذي اكتشفه بن جوريون بعد أحداث الخامس من يونيه ..؟ اسمعوا وتعلموا يا شديدي العصرية والتمدن ..

يقول بن جوريون : « لقد كان نصيب شعبنا دائما أن يقف كأقلية أمام الأكثرية ، ولذلك ذكر أنبياؤنا (١) منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة .. أنكم أقل الشعوب جميعا ، ولذلك يجب على شعب اسرائيل أن يكون شعب قدرات وتفوق من الناحية الروحية ، بحيث يستطيع أن يقف بعظمته المادية أمام شعوب أكبر منه ، وبدون التفوق الروحي لم يكن شعبنا يستطيع أن يبقى ألفي سنة ، وما بقيت منه بقية ، بعد الشتات بين شعوب تكرهه لأنه يختلف عنها ، وما استطاع احياء وطنه بعد ١٨١٣ سنة من هزيمته ، في ظروف تختلف عن ظروف احياء واستقلال أية دولة في القرنين التاسع عشر والعشرين »

هل يعني ذلك أن بن جوريون درويش مجذوب ؟ وهل صحيح أن اسرائيل بعد الحرب لم تستورد طائرات ومدافع ودبابات .. هل أوقفت اسرائيل التعليم والدراسة ، وعكفت على تلاوة التوراة عند حائط المبكي تنشد التابوت الذي ضاع !..

لا .. بن جوريون سفاح قاتل ، يعرف جيدا أهمية المدافع والصواريخ

---

(١) لا يخجل بن جوريون من الاستشهاد بكلام الأنبياء .. ولو ذكر أحد المتزعمين عندنا حديثا أو آية صدفة ـ فانه يذكرها كالمستشرقين ، أي ما معناه .. وصحيح أن الانفصال عن الدين عندنا يرجع الى التشويه الفكري الذي تم خلال الجيل الماضي ، وصور الدين كقوة رجعية ، وأيضا للتخريب المقصود الذي منع تدريس الدين ، مما جعل عددا كبيرا من الذين سقطت السلطة في أيديهم لا يعرفون شيئا عن الاسلام ، ويظنون انه دروشة المجاذيب عند الحسين .. كما يضاف الى ذلك عقدة الأقليات التي خلقها الاستعمار ، وجعلت السلطة الوطنية تتحاشى ذكر الدين .. وكذلك رغبة بعض العناصر الانقلابية في الاعتماد على الأقليات ضد الأغلبية .

•• وضرورة ضرب مدرجات الطيران قبل ضرب الطائرات •• ولكنه أيضا •• بل وأولا •• يعرف كيف تأتي المدافع والصواريخ •• وكيف تنطلق •• وبماذا تنتصر ؟! بالقيم الروحية وحدها ••

بالايمان يدفع اليهودي •• ويخترع •• ويسرق الاختراعات •• ويتحمس •• ويموت •• وبالايمان يقاتل ••

ونحن أجدر الأمم أن نعي هذه الحقيقة •• فعندما خرج الحفاة العراة رعاة الشاء يرثون ملك كسرى ، ويطاردون قيصر حتى يقف حزينا يطل على سوريا وهو يقول : « وداعا يا سوريا •• وداعا لا لقاء بعده •• » ثم يفر قيصر وفي قلبه حسرة لا تزول ، وفي نفسه دهشة لا تنقضي •• كيف انتصر هؤلاء •• الأكثر تخلفا في الآلات على الأكثر تمدنا وتحضرا •• بالمقاييس المادية ••

لم يكن العرب يمتلكون أقوى الآلات ولا أحدثها •• بالعكس •• عندما أسروا الفيل في حربهم مع الفرس ، وجاءوا بهِ الى المدينة ، وخرج الناس يشاهدون هذه العجيبة •• قالوا : هذا من صنع الفرس ، وظنوه حيلة أو خدعة أو اختراعا اخترعه الفرس ، وليس من مخلوقات الله سبحانه وتعالى (١) •

وكانت روما سيدة البحار بلا منازع ، وكان البحر الأبيض بحيرة رومانية بما تعنيه هذه الكلمة •• وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب قاهر روما ، لم ير البحر ، ولا ركب سفينة قط ! ويطلب من أحد البلغاء ممن شاهد البحر أن يصفه له ، فيصفه بعبارات بليغة تفزع عمر رضى الله عنه ، فيشفق منه على رعيته ، ويقسم ألا يحمل المسلمين عليه أبدا ••

وما تكاد تمضي سنوات حتى يكون للمسلمين الأسطول الأقوى ،

---

(١) حكاها الطبري .. مع انه لم يكن قد انقضى ثلاثة ارباع القرن على غزو الفيلة للجزيرة العربية ، وارتدادهم مخذولين عن مكة ، بعد أن أرسل الله عليهم « طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول » .

وحتى يسحقوا أسطول سيدة البحار في موقعة ذات الصوارى ..

بل وتقوم الدولة الاسلامية مترامية الأطراف ، وتتعامل بالنقد الروماني فترة من الوقت ، وهي قاهرة بيزنطة ..

ماذا كان يملك العرب ؟

لا شيء سوى العقيدة ، فانهارت أمامهم الممالك ، وتساقطت الدول ، وتثلم كل سلاح ، لأنهم كانوا المتفوقين في « القدرات الروحية » .

وبالعقيدة تعلموا وصنعوا ، ثم اخترعوا وأثروا التاريخ البشري ..

نقطة البدء اذن في كل حضارة ، هي العقيدة .. هي القيم الموجهة للجماهير .. هي الأفكار التي توجه سلوك قيادتها ..

فالذين تسمموا بالغزو الفكري يظنون أنه مما يتنافى مع التقدم الآلي أن يتمسك المرء بدينه ، أو أن يستشهد بقرآنه .. ناسين أن الباب المفضى الى مبنى المخابرات الامريكية منقوش عليه آية من الانجيل (١) وأن أول دبابة اسرائيلية دخلت سيناء كانت تحمل نصا من التوراة ..

اسرائيل — للأسف ! — تعي دروس الفتح الاسلامي أكثر مما نعيه نحن ، وتستفيد منه أكثر مما نستفيد .

ليس الخلاف على الآلات أبدا .. بل على الروح التي تمكننا من امتلاك هذه الآلات .. الروح التي تمكننا من ادارة هذه الآلات ، وصنع النصر بها ..

ماذا قال بن جوريون في ١٩٤٩ ؟

« فكل ما يجيء به العلم الحديث لا يكفي وحده ، ولن تكون الكلمة الأخيرة للدبابة ولا للمدفع أو الطائرة المقاتلة لكسب الحرب .. انما تكون للانسان الذي يسخر هذه الوسائل لارادته ، فيسخرها كيفما شاء وأينما أراد . ولن يتفوق المحارب اليهودي على خصمه العربي لمتانة عضلاته ، أو تفوقه الفني ، فهذه الخصائص — على أهميتها الفائقة — ليست شيئا مذكورا .. فقوى المحارب اليهودي العقلية والنفسية ، وفهمه وادراكه ، ومضاء

---

(١) الحكومة الخفية .

عزيمته ، ومثابرته واخلاصه ، وثباته أمام المصاعب والأخطار ، وسعة حيلته ، وغيرها من الخصائص هي التي تلزم له للتفوق في معارك الحرب » •

« سنفوز على العرب بفضل تفوقنا في القوة والخلق والعقل • ان جيشنا ــ الذي شاءت الظروف الماضية أن يكون جيشا صغيرا ــ سيكون في المستقبل في طليعة الجيوش الممتازة ، سواء من الناحية التقليدية الروحية ، أو الصناعية الفنية » •

اليهود الذين عبدوا عجل الذهب ، عندما أرادوا أن يقاتلوا ويبنوا دولة ــ عرفوا القيم الروحية ••

اليهود الذين لا تاريخ حقيقي لهم •• جعلوا من توراتهم التاريخ الذي يتعصبون له ، ويستصرخونه وقت الشدائد ، ويبنون له مستقبلا •

اليهود الذين اندثرت لغتهم ، أعادوا بعثها ، وفرضوها على العالم ، ونالوا بها جائزة نوبل !

بل ويجبرون « الرأى العام العالمي » المزعوم على أن يهتم بتشنجاتهم الدينية •• فتقول الجارديان البريطانية (١) « ان الأمر أصبحت له قداسته الدينية ، ففي عطلة الأسبوع أعلن الحاخام الأكبر أن أورشليم وأراضي اسرائيل هي أماكن مقدسة بالنسبة الينا • لقد وعدنا الله بالأرض ، وكل ما تتنبأ لنا به الأنبياء يحدث لنا •• وعلى ذلك فانه محرم على أي يهودي أن يفكر في اعادة أي جزء كان من أرض أسلافنا » •

ان الصليبي الغربي يؤمن بالدافع الديني ، بل بعكس ما يحاول أن يدخل في روع أتباعه من أبناء المستعمرات ، هو دائما يضع التفسير الديني للأحداث في المحل الأول •• وهو لم ير في أحداث مايو ويونيه الا حربا بين المسلمين واليهود ، وباعتبار تاريخه ودينه ومصالحه انحاز الى جانب اليهود ضد المسلمين •• وعمت الفرحة قلب كل صليبي غربي والقدس تنتزع من المسلمين ، محققة ثارات صليبية بدأت منذ عدة قرون ••

---

(١) ٣٠ أكتوبر ١٩٦٧ .

فنحن لا نكسب الرأى العام العالمي عندما نخفي ديننا ، ولكننا نخسر احترامه ، ونخسر أنفسنا .

ان الغرب طوال سنوات استعماره واحتلاله لبلادنا قد حاول أن يرهب الحركة الوطنية بتهمة التعصب ، فكلما تحركت القوى الوطنية صرخ في وجهها بأنها متعصبة ، تكره الاستعمار لأسباب دينية ، وأنها لو كانت متمدنية متحررة لما ساءها وجوده .

ولقد بددت الحركة الوطنية جانبا هاما من طاقاتها وحيويتها في محاولة نفي هذه التهمة الباطلة ..

واليوم تكرر اسرائيل نفس اللعبة .. فنحن لا نغضب ولا نثور ضد اسرائيل الا لأننا متعصبون ..

نعم ! نحن متعصبون .. ولن نقبل أن يذل الاسلام في بلادنا ، وأن يباد المسلمون في ديارهم ..

واذا كان الحاخام الأكبر يقول ان أرضنا موعودة له ولبني اسرائيل بنصوص تلمودهم .. وأن ما وعدهم أنبياؤهم يتحقق كله .. وتنقل هذا الصحف البريطانية ، وتجعله بعدا جديدا في المشكلة ـ فان الله سبحانه وتعالى قد وعدنا النصر ، وأمرنا بقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، وأن نخرجهم من حيث أخرجونا .. وبشرنا الرسول صلوات الله عليه بوقعة مع اليهود .. حتى يصيح الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم هذا يهودي ورائي .. فيأخذه فيقتله ..

وبعد ..

لا أريد ان أطيل الحديث .. فالحديث مرير .. وقد أشرنا الى كل هذه العوامل في كتبنـــا منذ صدور الطبعة الأولى من « الغزو الفكري » والاحساس بخطورة الوضع هو الذي جعلنا نهب أنفسنا لهذا الاتجاه .. فان جيلنا قد قارب دوره على الانتهاء .. وهو ان كـــان فريسة للأهواء الرخيصة التي حاولت ان تتملق الناشئين بابراز أهمية سنهم الصغيرة .. فان جيلنا قد عاش تجربة خصبة وحاسمة وبقى عليه ان يقول كلمته .. ان يلخص تجربته لهؤلاء الناشئين .

واذا كان البعض قد بدأ يتحدث عن الحل السياسي .. فان جيلنا يقول انه بغير نصر عسكري فلن تقوم لهذه الأمة قائمة ولن يغسل العار الذي لحق جيلنا .. وسيعيش ذليلا ويموت كسيرا .

ومهما بدت قسوة الأيام ومرارة المحنة ، فان جيلا مؤمنا بالاسلام ، معتزا بعروبته ، مسلحا بالعلم والحديد والنار .. لا بد ان يظهر ويزيح الدنس من العقل العربي ويحرر الارادة العربية .. ومن أجل هذا الجيل نكتب .. انه الجيل السعيد الذي سماه الرحمن عبادا أولى بأس شديد ... ووعدهم بأن يدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا .

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة

صدر للمؤلف

مصريون لا طوائف	١٩٥٠	نفذ
الجبهة الشعبية	١٩٥١	»
قانون الأحزاب	١٩٥٢	»
روسي وأمريكي في اليمن	١٩٥٧	»
شرف المهنة	١٩٦١	يطلب من الدار القومية
الغزو الفكري		
الطبعة الأولى	١٩٦٤	
الطبعة الثانية	١٩٦٦	يطلب من الدار القومية
الماركسية والغزو الفكري		
الطبعة الأولى	١٩٦٤	
الطبعة الثانية	١٩٦٦	يطلب من الدار القومية
دراسة في فكر منحل	١٩٦٧	يطلب من مكتبة الأمل ـ الكويت
القومية والغزو الفكري	١٩٦٧	يطلب من مكتبة الأمل ـ الكويت

مطبعة مقهوي ــ كويت

الثمن ٣٠٠ فلس

طبعت في مطبعة مقهوي - كويت